الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد اكلي محند اولحاج-البويرة-

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم: العلوم الإنسانية تخصص تاريخ

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته



Ministère de l'EnseignementSupérieur et de la Recherche Scientifique

UniversitéAkliMohand Oulhadj-Bouira-

Tasdawit Akli Muhend ulhag-tubirett-

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر الموسومة بـ

" بلاد الشام وصقلية في عصر الحروب الصليبية (ق6هـ/12م)

من خلال كتب الرحلات رحلة ابن جبير أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- مسعودة بليدي
- اسمهان قريان

إشراف الدكتور:

طاهر سبع

السنة الجامعية: 2017 / 2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد اكلي محند اولحاج-البويرة-

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم: العلوم الإنسانية تخصص تاريخ

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته



Ministère de l'EnseignementSupérieur et de la Recherche Scientifique

UniversitéAkliMohand Oulhadj-Bouira-

Tasdawit Akli Muhend ulhag-tubirett-

قسم: التاريخ

العنوان: بلاد الشام وصقلية في عصر الحروب الصليبية (ق6هـ/12م) من خلال من خلال كتب الرحلات رحلة ابن جبير أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- **مسعودة بلـيدي**
- **اسمهان قريان**

إشراف الدكتور:

طاهر سبع

❖ لجنة المناقشة:

الأستاذ	الدرجة	الجامعة جامعة
أ/	أستاذ مساعد أ	جامعة البويرة
أ/	أستاذ مساعد أ	جامعة البويرة
أ/	أستاذ مساعد أ	جامعة البويرة

السنة الجامعية: 2017 / 2018


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا العمل وانجازه

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان الى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل العلمي ونخص بذلك الدكتور "طاهر سبع"، الذي تحمل العناء والمتاعب معنا في سبيل إخراج هذا البحث الى النور، ولم يبخل علينا بوقته وجهده وعلمه، فله منا كل الشكر والامتنان والتقدير.

كما نسجل شكرنا وعرفاننا الى كل أساتذتنا في قسم التاريخ بجامعة البويرة

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتور "ياسين بودريعة" والدكتورة" أحمد وعمر" اللذان لم يبخلا علينا بتقديم المساعدة والتوجيهات بكل كرم فشكرا جزيلا وجزاهم الله خيرا.

كما نتقدم بشكرنا وامتناننا الى كل من ساعدنا بنصيحة أو عمل في فترة البحث





اهداء

الحمد لله الذي لا يشكر سواه، والصلاة والسلام

علي خير خلق لله

اهدي ثمرة عملي هذا الى من أوصاني بها المولي عز وجل وجاء في

القرآن ذكرها

الى التي غمرتني بحنانها وأنارت دربي

بدعواتها أمي حفظها الله

الى عوني وقدوتي ومصدر فخري أبي الغالي أطال الله في عمره

الى سندي المادي والمعنوي إخوتي وأخواتي

وأولادهم كل باسمه حفظهم الله

الى صديقاتي في درب الدراسة {صوفي ليندا أمينة جميلة}

الى زوجي حفظه الله الذي كان خير عون لي في هذا العمل

اسمهان



اهداء

اهدائي هنا ليس لتخرجي فقط

بل سوف أضع كلمات لكل من ترك بصمة في حياتي

وزاد من توسيع مداركي العلمية والعقلية

اهدائي اليك أيتها الأم التي كنت عونا ودفء بين أضلعي

إليك أبي يا من تعبت لأجلي

لكل من لملم أحزاني بين فترة وأخري رفقاء دربي

{اسمهان، زهرة، ربيا، هدى، سهيلة، سارة، سعيدة، لامية، صفية}

أبعث أرق تحية وأعذب سمفونية سمعتها وأرددها لكم

بأنني أحبكم من كل قلبي إخوتي وأخواتي

الذين كانوا سندا لي في هذه الدنيا

مسعـودة

قائـــمة المختصرات

قائمة المختصرات

هـ: هجري

م: ميلادي

ق.م: قيل الميلاد

د.ط: دون طبعة

د.ت: دون تاريخ

د.م.ن: دون مكان النشر

تر: ترجمة

تع: تعليق

تحق: تحقيق

تق: تقديم

جمع: تجميع

ص: صفحة

مج: مجلد

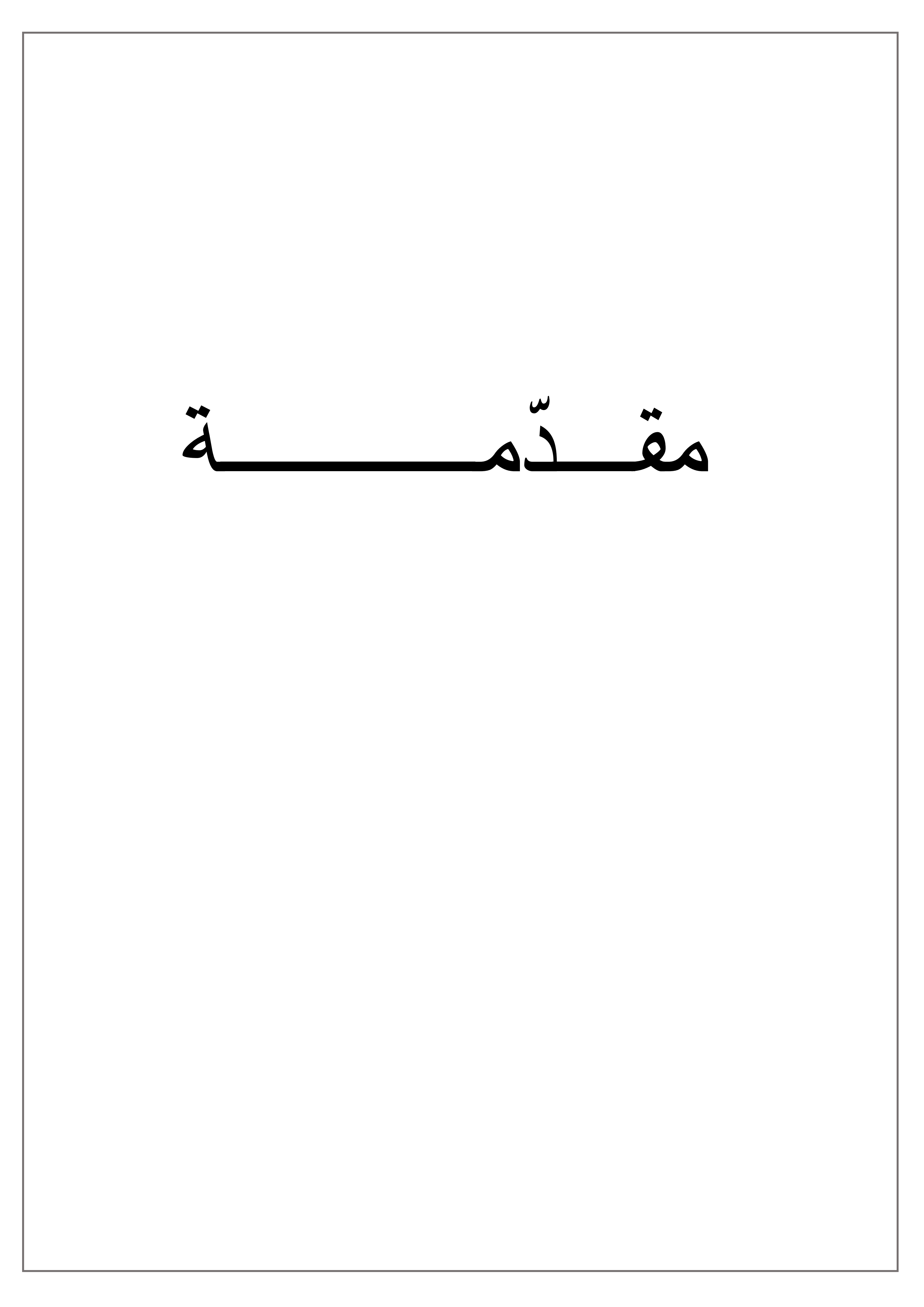
ج: جزء

ط: طبعة

ت: توفي

كلم: كيلو متر

تع: تعليق



مقـــدّمـــــــــــــــة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الطاهر الأمين الذي أخرج العباد من ظلام الجهل والشرك الي نور الإسلام الخالد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شهدت صقلية وبلاد الشام، بوجه خاص هجمة شرسة قادها الغرب الأوروبي في العصور الوسطي ضد المسلمين في المنطقة، واتخذوا من الدين شعارا لهم، يخفي أغراضهم الحقيقية المتمثلة في الاستعمار والاستيطان والسيطرة الاقتصادية، فالحركة الصليبية تعد إحدى الظواهر المميزة لتاريخ العصور الوسطي وقد استمدت أهميتها من أنها استغرقت نحو قرنين من الزمن في بلاد الشام ما بين(490هـ–670هـ) وانهاء السيادة العربية في جزيرة صقلية(484هـ)، وأن الجانبين الإسلامي والمسيحي قد تأثرا بها في كافه النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلى ذلك فإن أهمية دراسة هذه الحركة لا تقتصر علي الناحية العسكرية فحسب بل هي بالأحرى دراسة العلاقات بين الشرق والغرب في شتي جوانبها، اذ أن العلاقات بين الطرفين الإسلامي والصليبي لم تكن دائما علاقات حرب وصراع، فقد تخللها نوع من العلاقات الاجتماعية والثقافية وحتي الاقتصادية، وحدث نوع من تبادل المؤثرات، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فظهرت الأبحاث والدراسات التي تتناولها في الشرق والغرب علي حد سواء، وعلى الرغم من ذلك فلا يزال المجال فسيحا أمام الباحثين ليقدموا أعمالا إضافية حولها.

ولا شك أن المتأمل في الدراسات التاريخية لبلاد الشام وصقلية في عصر الحروب الصليبية يلاحظ أن معظمها انصب على معالجة الجوانب السياسية والعسكرية، في حين نجد أن الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لهذه المنطقة نوعا ما شحيحة، والحاصل أن مثل هذه المواضيع لا يزال يعتريها المحدودية، ولا يزال الغموض والابهام يلف بعض جوانبها، لذا كان لزاما

علينا من أجل الوقوف على مثل هذه الأوضاع الرجوع إلى كتب الرحلات والتي تعتبر مصدرا ذا قدر كبير من الأهمية بحكم أن أصحاب هاته الرحلات قاموا بتسجيل الكثير من الملاحظات والمعطيات حول المناطق التي كانت هدفا أو محطة لرحلاتهم.

ومن أهم الرحالة الذين تناولوا تلك الجوانب نذكر "ابن جبير الأندلسي" الذي سميت رحلته " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، والتي شملت معظم أجزاء بلاد الشام وصقلية في تلك الحقبة، حيث أعطانا صورة واضحة عن الأحوال العامة السائدة فيها، فجاء عنوان دراستنا موسوما ب "**بلاد الشام وصقلية في عصر الحروب الصليبية (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) من خلال كتب الرحلات، رحلة ابن جبير أنموذجا**".

أهمية الموضوع:

تعد الرحلات فن من فنون الأدب العربي في المقام الأول، ثم من المصادر المساعدة لكتابة التاريخ، اذ تصف لنا كل ما شاهده وعاينه الرحالة خلال رحلاتهم، فنصوص مصنفاتهم تعتبر مادة تاريخية تحتوي على معلومات دقيقة لا نجدها في كتب التاريخ العام.

ومن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي يقوم بدراسة إقليم الشام وجزيرة صقلية من خلال كتابات الرحالة ابن جبير الأندلسي الذي عاش في القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي، دراسة تاريخية مع إعطاء صورة واضحة عن الأحوال العامة في الشام وصقلية من خلال ما ذكرته نصوص رحلته.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم البواعث والأسباب التي دفعتنا الي اختيار هذا الموضوع:

_ أن كتابات الرحالة تعتبر مصدرا من المصادر التاريخية المهمة التي تصور لنا مشاهداتهم لأحوال البلدان بدقة، ونقدهم لبعض المظاهر السائدة فيها والتي لا نجدها في كتب التاريخ العام.

_ ترجع الى أهمية الموضوع في حد ذاته لأن الدراسات الحديثة تركز على الجانب السياسي أكثر منه اجتماعي ثقافي فكري واقتصادي، وإن اهتمت هذه الدراسات بتلك الجوانب المذكورة فإنها تتناولها بصفة عامة وبشكل سطحي، لذلك لا توجد دراسة مفردة تحدثت عن مختلف الأوضاع في بلاد الشام وصقلية في فترة الحروب الصليبية.

_ كذلك رغبة منا في دراسة إقليم الشام وصقلية من مختلف الجوانب في هذه الفترة الحساسة من تاريخها، باعتباره موضوع خصب يحتاج الي مزيد من البحث والدراسة المتخصصة فيه.

إشكالية الموضوع:

اعتبرت فترة الحروب فترة من أهم الموضوعات التي حظيت باهتمام المؤرخين بسبب أحداثها ونتائجها التي كانت مجالا واسعا لدراسة والبحث، ومن الذين قدموا دراسة مسهبة ودقيقة في هذا المجال ابن جبير في رحلته التي تعتبر مؤلفا نفيسا لا غنى عنه للمؤرخين والجغرافيين وكل من أراد الاطلاع على أحوال تلك الحقبة حيث ضمت بين ثناياها معطيات كثيرة، وعلى هذا الأساس حاولنا معالجة إشكالية تتعلق بأهم هذه المعطيات التي يمكن أن توفرها الرحلة من أجل دراسة موضوع بلاد الشام وصقلية زمن الحروب الصليبية.

واندرجت تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- ما المقصود بأدب الرحلات؟ وفيما تتمثل قيمتها في الدراسات التاريخية؟

- من هو ابن جبير؟ وهل كانت انطباعاته حول إقليم الشام وصقلية تحمل الصدق؟ وما هو الشيء الذي أضافته رحلة ابن للدراسات التاريخية؟
- هل كانت لطبيعة العلاقات السياسية تأثير على التواصل الاجتماعي والثقافي بين المجتمع الإسلامي والصلبي؟ وكيف كانت نظرة ابن جبير لها؟

الدراسات السابقة:

من خلال بحثنا عن دراسات سابقة في نفس الموضوع، لم نتحصل على دراسات مستقلة خصصت له في فهارس مكتبات الجامعات التي اطلعنا عليها ولا في المصادر المتحصل عليها لدينا، حيث وجدنا نقص في الكتب حول الموضوع وإن وجد بعض منها فهي بشكل مختصر لا تتجاوز بضع صفحات لم توفي الموضوع حقه، إلا أننا استفدنا من بعضها، ومن هذه الدراسات:

1- محمد مؤنس عوض؛ الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

2- بتول كامل مزهر الياسري؛ الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع هجريين الموافق للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

3- صلاح الدين المنجد؛ المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطي.

4- محمد سامي أحمد أمطير؛ الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها فترة الحروب الصليبية.

5- إحسان عباس؛ العرب في صقلية دراسة في التاريخ والآداب.

6- أمين توفيق الطيبي، أحوال المسلمين في صقلية دراسة في التاريخ ولآداب.

المنهج المتبع: وفيما يخص المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع، اعتمدنا على المنهج التحليلي والمنهج التاريخي الوصفي، أين قمنا بتحليل الرحلة أولا، وما تضمنته من معلومات تفيد في موضوعنا،

وثم وصف الظاهرة التي عالجتها وشرح الأوضاع التي كانت سائدة في بلاد الشام وصقلية في تلك الفترة.

خطة الموضوع:

واقتضت طبيعة دراسة الموضوع تقسيمه الى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة للفهارس.

-**فالمقدمة** اشتملت على تعريف شامل للموضوع مع ذكرنا لأهميته وأسباب اختيارنا له، ثم طرح للإشكالية وعرض لأبرز الدراسات السابقة له، دون أن ننسى المنهج المتبع، مع عرض لأبرز عناصر خطة البحث، كما اشتملت على دراسة نقدية لأهم مصادر البحث ومراجعه.

-**فالمدخل** الذي جاء تحت عنوان "الرحلة في الغرب الإسلامي وفوائدها في الدراسات التاريخية "، ضم مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا، كما تعرض لنشأت أدب الرحلة وعلاقتها بالجغرافية، وعن أهم أسباب ودوافع الرحلة المغربية والأندلسية وخصائصها، وفي الأخير تحدثنا عن أهميتها وفائدتها في الدراسات التاريخية.

-أما **الفصل الأول** فعنوناه " ابن جبير حياته عصره ورحلته" تضمن تعريف وترجمة لرّحالة ابن جبير، وتناولنا العصر الذي كان فيه، مع إبراز لأهم الكيانات السياسية التي كانت قائمة في تلك الفترة سوآءا في الغرب الإسلامي أو مشرقه، كما تم في هذا الفصل استعراض لرحلته بنوع من التفصيل حيث أشرنا الى أهم الرحلات التي قام بها الي المشرق، مع توضيح أسبابها ودوافعها، كذلك أشرنا الي خصائص الرحلة ومميزاتها مع ذكر تاريخها ومسارها والمعلومات الواردة بها.

-أما **الفصل الثاني** فجاء موسوما " بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام من خلال رحلة ابن جبير" فتحدثنا فيه حول أوضاع الشام سياسيا، ثم انتقلنا للحديث عن الجوانب

الاقتصادية والاجتماعية فأشرنا الى أوضاع التجارة والاقتصاد مع إعطاء لمحة عن أحوال الأسواق ومراكز التخزين والتسويق في ذلك العصر، بالإضافة الى إيراد بعض العادات والتقاليد السائدة في المنطقة وأهم الفرق الإسلامية التي كانت تنشط بها، ثم تطرقنا الى الجانب العمراني وحاولنا فيه إبراز أهم مظاهر العمارة في ذلك العصر، وأخيرا تناولنا عنصر المغاربة في بلاد الشام.

-أما **الفصل الثالث** الذي جاء بعنوان" الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في صقلية من خلال رحلة ابن جبير" تضمن أولا الجانب السياسي للجزيرة في القرن السادس هجري، ثم أشرنا الى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة وأخيرا تناولنا أوضاع الجالية المسلمة تحت السيادة النورمانية.

وختمنا بحثنا هذا **بخاتمة** تضمنت استنتاجات عامة لما توصلنا إليه واستخلصناه من خلال دراستنا هذه.

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع:

وبما أن موضوعنا تناول أحوال بلاد الشام وصقلية من خلال رحلة ابن جبير، فقد اعتمدنا بالأساس على هذا المصدر، بالإضافة الى مجموعة من المصادر والمراجع المدعمة التي تناولت موضوعنا بشكل عام.

وفيما يلي أبرزها حسب أهميتها في البحث وراعينا تواريخ تأليفها:

1/ وجاء على رأسها كتاب ابن جبير (ت 614هـ) كما سبق وذكرنا، الذي أفادنا في جميع جوانب الدراسة بما أن البحث قائم على رحلته الذي أعطى لنا صورة عامة عن أوضاع بلاد صقلية والشام والذي تناول هذه الأخيرة بشكل دقيق، بينما وجدناه تناول أوضاع جزيرة صقلية بنوع من الاختصار

خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي؛ ضف الى ذلك أن ابن جبير اعتمد على مصطلحات محلية صعب علينا فهمها مما أثر على معلومات الدراسة.

2/ أما الكتاب الثاني الذي اعتمدنا عليه هو **معجم البلدان** (بمجلداته الأربعة) لياقوت الحموي (ت626هـ) الذي اعتمدنا عليه في ضبط المصطلحات الجغرافية في موضوعنا باعتباره معاصر لفترة الدراسة.

3/ ذيل تاريخ دمشق لمؤلف ابن القلانسي (555هـ)؛ الذي يعد من أهم الكتب التي عالجت تاريخ بلاد الشام بصفة عامة فأفادنا في الجانب السياسي خاصة في الفترة الحرجة التي شهدت نزوح وسيطرة السلاجقة على بلاد الشام وكذلك الغزو الصليبي لساحلها، والاستلاء على بعض المدن وتهجير سكانها، كما تحدث عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والنصارى.

4/ الكامل في التاريخ (ج 9، 10) لابن الأثير(630هـ) وقد أفادنا في الدراسة من خلال احتواءه على العديد من المعلومات العسكرية والسياسية واقتصادية والاجتماعية إلا أن هذين الأخيرين جاءا بشكل عام في الكتاب سواء ما تعلق ببلاد الشام أو صقلية.

5/ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، للمؤلف أبو شامة(665هـ)؛ أفادنا في التحدث عن سيرة نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي، والأحداث التي وقعت في عهدهما خاصة محاولتهما تحرير البلاد الإسلامية من أيدي الغزاة الصليبيين.

وبالإضافة الى المصادر السابقة الذكر اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها:

1/ تاريخ الأدب الجغرافي العربي للمؤلف كراتشوفسكي؛ الذي اعتمدنا عليه في تتبع الرحلة وأهم المستشرقين الذين قاموا بنشرها، إضافة الى معلومات أخرى جاءت بشكل عام.

2/ المكتبة الصقلية للمؤلف ميخائل أماري؛ الذي استفدنا منه في دراستنا من خلال استعراضه لأهم المصادر التي تحدثت عن أحوال صقلية في هذا العهد.

3/ دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس لأمين توفيق الطيبي؛ الذي أفادنا في أحوال المسلمين في صقلية زمن النورمان.

4/ رحلة ابن جبير وابن بطوطة للمؤلف محمود مصطفي زيادة؛ الذي استطعنا بفضله أن نتوصل الى بعض المعلومات والتفاصيل حول أحوال بلاد الشام.

الصعوبات:

وكباقي البحوث والدراسات واجهتنا العديد من الصعوبات كان منها:

- ✓ نقص وقلة الدراسات التاريخية المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي لهذين الاقليمين خاصة فيما يخص إقليم صقلية هذا ما أثر على مذكرتنا حيث يظهر كثرة الكلام عن بلاد الشام وقلته بالنسبة لصقلية فمعظم الدراسات الحديثة التي اعتمدنا عليها تشير هي الاخرى الى ذلك النقص.
- ✓ إضافة الى ضيق الوقت مقارنة بموضوعنا هذا الذي يتطلب وقت أكثر من أجل التطرق لكل جوانبه وبشيء من التفصيل خاصة صقلية هذه الأخيرة التي جل مصادرها باللغة الأجنبية التي تحتاج منا الى ترجمة خاصة وأننا من الباحثين غير المتمكنين من هذه اللغات.
- ✓ استعمال ابن جبير مصطلحات ومفردات باللهجة المحلية لكونه أديب وكاتب مما صعب علينا فهم قصده في غالب الأحيان.

مدخل

" الرحلة في الغرب الإسلامي وفوائدها في الدراسات التاريخية "

ويتضمن العناصر التالية:

- مفهوم الرحلة
- نشأة ادب الرحلة وعلاقته بالجغرافية
- دوافع الرحلة المغربية وانواعها
- خصائص الرحلات المغربية والاندلسية
- أهمية الرحلة في الدراسات التاريخية

مدخل:

الرحلة هي سلوك إنساني جبل عليه الإنسان منذ تكوينه الأول، فالناس ترحل منتقلة من بلاد إلى أخرى إما بحثا عن الماء أو الكلأ أو بحثا عن أماكن خصبة للزراعة، أو من أجل البحث والاستكشاف عن مجتمع أخر يختلف عن المجتمع الذين يعيشون فيه، أو هربا من الحروب والمجاعات ومهما تكن أسباب الرحلة والهجرة سواء كانت هجرة أفراد أو جماعات.

فالرحلة تعتبر مادة غنية تزودنا بمعلومات تاريخية ووصفية عن المكان والزمان الذي وجد فيه الرحالة، المراكز العلمية التي شهدها من مدارس أو زوايا أو جوامع تدرس فيها العلوم، كما يذكر الأوقاف التي وقفت على هذه المدارس أو الجوامع، ويصف المعالم الأثرية والجغرافية التي مر بها كما يسجل عادات أهلها واحتفالاتهم، وأعيادهم، وملبسهم ومأكلهم وكل ما تشمل عليه المظاهر الاجتماعية. كذلك يصف لنا الوضع الاقتصادي للبلاد التي مر بها وما يعتري أهلها من غلاء أو وباء أو ضرائب تؤخذ منهم، هذا على غرار تطرقهم للوضع السياسي للبلاد، وبذلك نستطيع القول بأن الرحلات هي سجل تاريخي يحفل بكل ألوان الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

أولا: مفهوم الرحلة:

أ): **لغة:** حظيت " مادة رَحَل" بشرح وافي في العديد من المعاجم العربية ففي لسان العرب:" الرّحْلُ" مركب للبعير والناقة وجمعه " أَرْحُلٌ"، ويقال: رَحَلَ إذاً سار، وأَرْحُلْتُهُ أنا، ورَحَلَ رَحُولٌ وقوم " رُحْلٌ" أي يرتحلون كثيرا، وإرْتَحَلَ البعير رحلةً: سار فمضى، قيل: إرتحَلَ القوم عن المكان " إرْتحَالاً"، ورَحَلَ عن المكان يَرْحَلُ وهو رَاحِلٌ عن قوم رُحَلٌ: انتقل[1].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منصور الأفريقي المغربي؛ **لسان العرب**، مادة رحل، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، مج 1، ص 274-278.

ومن معاني الرحلة أيضا ما جاء في المعجم الوسيط: " رَحَلَ عن المكان": رَحْلاً ورَحِيلاً وترْحَالاً، ورُحْلَةٌ، وعلاه وركبه، الرُّحَالْ: الحرب الرُحَالْ: الذين لا يستقرون في مكان واحد ويحلون ماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبث المرعى[1]، والرِّحْلَةٌ: كتاب يصف الرحالة ما رأى (الرُّحْلَة): ما يَرْتَحِلُ إليه[2].

وجاء في القاموس المحيط: إرْتَحَلَ البعير: سار ومشى مع القوم عن المكان: انتقلوا، الرحلة: الوجهة التي تقصده[3].

وقيل أيضا أن الرِّحْلَةَ رِحْلاً وترحلا، ذهب ورحل من بلده أخرجه منه وارتحل القوم انتقلوا، والرّاحِلَةُ الناقة الصالحة التي تُركب، والرَّحْلى" مركب البعير، وأيضا ما سيصحب المسافر من الأوعية، جمعه رُحَال والرِّحْلَةُ الجهة التي يقصدها المسافر، يقال: مكة رِّحِلَتُنَا وهو عالم رحلته أي يرحل إليه[4].

ب): اصطلاحا: تعرف "دائرة المعارف" الرحلة بأنها هي:" **انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، كجذب بلادهم وضيقها أو لاضطهاد وقع عليهم، أو على أثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، ومع هذه الأسباب تسمى رحلاتهم مهاجرة وهذا شأن الأمم منذ قديم الزمان** "[5].

وهذا معناه أن الانطلاقة الأولى للرحلة كانت تسمى الهجرة، والتي هي الانتقال من الموطن الأصلي إلى موطن جديد.

---

[1]ـ مؤلف مجهول؛ **معجم الوسيط؛** إشراف شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، د. ت، ص 334-345.

[2] ـ نفس المصدر؛ ص 345.

[3] ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي؛ **القاموس المحيط،** مادة رحل، تحق: أمين محمد الشامي وزكريا أحمد جابر، دار الحديث للنشر، القاهرة، مصر، د. ط,2008، مج1، ص 626.

[4] ـ محمد فريد وجدي؛ **دائرة معارف القرن العشرين،** دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، مج 4، ص 201.

[5]ـ بطرس البستاني؛ **دائرة المعارف،** مطبعة المعارف، بيروت، لبنان، د. ط،1984، مج 8 ص 564.

للبحث عن فرصة أفضل للحياة، والانتقال والاستقرار في موطن جديد. وهي رحلة تطلب الإستطان والتعايش[1].

والرحلة بمفهوم آخر، حركة ومخالطة للناس والأقوام والتعرف على المناطق ووصف الثقافات الإنسانية ورصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع ما، وفي زمن معين، وبواسطتها يحصل الرحالة على مادة ثرية من المعلومات المستمدة من الملاحظة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كطبائع الناس ومعالم حضارتهم وخصوصياتهم[2]. وهي: " **تحتل مظهراً من مظاهر الحضارية الواضحة في مختلف العصور الإسلامية**".

وقد نمت هذه الرحلات بكتابات كثيرة كتبها الرحالة أثناء رحلتهم أو بعدها فشكلت أدبا يسمى بأدب الرحلات تضمن معارف وأفكار تختلف باختلاف المستوى العلمي للرحلة، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره شكيب أرسلان في كتابه الإرتسامات اللطاف قائلا:" **إن أدب الرحلات يشكل شهوة معرفية كبيرة ومخزنا للقصص والظواهر والأماكن فضلا عن كونه مادة سردية تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى ووعي يلم الأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر فيها**"[3].

ثانيا: نشأة أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافيا.

إن الرحلة قديمة المنشأ والظهور قدم الإنسان نفسه كما سبق وذكرنا، فالإنسان مولع بالتنقل والترحال بدافع الحاجة والضرورة، فعرف السفر وإرتحل خارج وطنه براً وبحراً، ونتيجة لطموح الإنسان

---

[1] – صلاح الدين علي الشامي؛ **الرحلة عين الجغرافيا**، الناشر منشأ المصارف، الإسكندرية، مصر، د. ط، د. ت، ص 18، 22.

[2] – عبد القادر خليفي؛ **الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية**، مجلة المواقف في البحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، العدد 4، 2009، ص 118.

[3] – شكيب أرسلان؛ **الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 2004، ص09.

الزائد في البحث عن الموارد، وتوسيع الممالك والأسواق فقد سارع إلى الغزو والفتوح، هذه الأسباب وغيرها عجلت في ظهور أدب الرحلة وانتشاره[1].

وهذا النوع من الأدب، موغل في القدم عرفته جل الأمم الســــابقة كالفراعنة والفنيقين والرومان والإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق واشــتهر منهم الكثيرون مشــرقا ومغربا، وكانت بداية إسهاماتهم منذ العصر الجاهلي عندما كانت الرحلة عنصر من عناصر البنية في القصيدة الجاهلية[2].

أما في العصــر الإســلامي فقد تطورت الرحلة وصــارت فنا عربيا أصــيلا في النثر العربي ســيما التاريخية والجغرافية، نظرا للاهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم، ولمضمونه الفكري ولاجتماعي وأسلوبه المميز.

وكانت الانطلاقة الحقيقية للرحلة العربية في هذه المرحلة بداية من القرن 3هـ[3] وامتدت الي حوالي القرن التاسع الهجري، فقد لمعت أسماء كبيرة في أدب الرحلة كاليعقوبي[4]، الإدرسي[5]، والتجيبي[6] ... الخ،

---

[1]– عبد الله كروم؛ **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة لخزائن توات**، دار النشر دحلب، د. م.ن، د ط، د ت، ص42.

[2] –عمر بن قنية؛ **الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية**، منشورات إتحاد الكتب، دمشق، سوريا، د ط، 1999، ص 07.

[3]– عبد الله كروم؛ مرجع سابق، ص43.

[4]– اليعقوبي: أحمد ابن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي توفي 284هـ/897م، وهو رحالة جغرافي من أشهر مؤلفاته كتاب البلدان. (أنظر: خير الدين الزركلي؛ **الأعلام (قاموس تراجم لأثير الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط3،2002، ج2، ص95).

[5]– الإدريسي: أبو عبد الله محمد، المكني بالصقلي والمعروف بالشريف الإدريسي، وهو رحالة ومؤرخ جغرافي من أشهر مؤلفاته نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. (أنظر: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة؛ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص35).

[6]– التجيبي: هو القاسم بن يوسف بن محمد علي بن القاسم التجيبي البلنسي، رحالة أندلوسي الأصل مغربي النشأة، من أشهر مؤلفاته مستفاد الرحلة والاغتراب في ثلاث مجلدات كبري. (أنظر: لسان الدين ابن الخطيب؛ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1،2،1974، ج3، ص 173).

وقد اهتم هؤلاء بكل ما يحيط بهم مظاهر جغرافية وهذا، أمر بديهي باعتبار أن طبيعة حياتهم اعتمدت على الترحال[1].

فمن الواضـــح أن هناك علاقة وطيدة ووثيقة بين الجغرافيا والرحلات، فلا نكاد نلتقي بأي جغرافي عربي لم يكن قد اعتمدها في اعتمادا أساسيا في كتابة رحلاته.

فالكتب المؤلفة بداية في هذا العلم ـ علم الجغرافيةـ كانت تتخذ صـبغة رحلة، فكانت بهذا معينا لا ينضـب لأغلب تلك المعلومات الجغرافية التي تحقق فرصـة المعاينة المباشـرة، والدراسـة الميدانية، ولهذا احتوت الرحالات بين ثناياها على كثير من المعارف الجغرافية[2].

أما الرحلة لغرض مختلف، فإنه يدون تاريخ خروجه من وطنه ويدون كل ما يتعلق بشخصيته، ويكتب عن الأحوال التي أحاطت بسفره، كما يثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيابه ويذكر كل ما لاقاه من الصعوبات التي واجهته في رحلته، كما أنه يصف كل ما عاينه من مظاهر الحضارة في كل بلد حل به، ويعطينا معلومات عن الناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ومن أشهر هؤلاء نذكر: ابن بطوطة[3]... الخ

وما يلاحظ أنه ما لبث أن تفوق المغاربة على المشارقة في هذا الفن–أي فن الرحلة–وفي هذا الفرع من الكتابات، ما عدا نفر محدود من المشـارقة الذين اشـتهرت رحلاتهم، بينما تضـم قائمه المغاربة أسـماء

---

[1]– فوائد قنديل؛ **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص25.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب؛ **الرحلات المغربية والأندلسية مصدرً من مصادر تاريخ الحجاز القرنين 7 هـ و8 هـ**– دراسة تحليلية مقارنة–، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، د. ط، 1996، ص47.

[3]– ابن بوطة: محمد ابن عبد الله ابن ابراهيم ابن يوسف اللواتي الطنجي 703هـ–770هـ/ 1303م–1367م الله ابن إبراهيم الملقب بشمس الدين رحالة مغربي اشتهر بمؤلفه الذي سماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (أنظر: محمد يوسف عمر عابد؛ **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة –دراسة نقدية مقارنة 726هـ–750هـ/1326م–1349م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف، جابر محمد دياب، 1989، ص 27،8).

عديدة قد سبق وأشرنا الى بعض منهم، والملاحظ أن هذه الرحلات قد تأصلت في المغاربة والأندلسيين وأصبحت فنا قائما بذاته من حيث تدوينه بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الدخول والخروج إلى كل مدينة مع إعطاء لمحة وافية عنها وقائمة بأسماء مراحل السفر[1].

ثالثا: دوافع الرحلة المغربية وأنواعها:

من خلال ما سبق يمكننا أن ندرك أن سبب تفوق المغاربة في هذا الفن، يعود لعدة أسباب من أهمها " الحج وطلب العلم"، فقد ذكر جميع أولئك الرحالة أن هدفهم الأساسي هو الحج إلى بيت الله الحرام والدراسة على يد أئمة الفقه المشهورين[2].

حيث ذكر ابن بطوطة في فاتحة رحلته أن سبب خروجه من وطنه إلى المشرق هو الحج الى البقاع المقدسة والتبرك بزيارة قبر الرسول صلي الله عليه وسلم حيث يقول: "**كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعة مائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم**"[3].

وخلال أدائهم لفريضة الحج، كانوا ينتهزون الفرصة في التجوال والاطلاع على المراكز العلمية والحضارية مثل الإسكندرية والقاهرة، بغداد ودمشق، للقاء العلماء والأخذ عنهم من كتب وإيجازات[4].

وفي ذلك يقول ابن خلدون:" **فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال**"[5].

---

[1] –عواطف محمد يوسف نواب، مرجع سابق، ص 71.

[2] – أحمد رمضان أحمد؛ **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان المغربي للطباعة والنشر، (د. م. ن، د. ط، د. ت)، ص 319.

[3] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن إبراهيم (ابن بطوطة)؛ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحق: دريوش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2004، ص1.

[4] – أحمد رمضان أحمد؛ مرجع سابق، ص 220.

[5] – عبد الرحمن ابن خلدون؛ **المقدمة**؛ تحق: جمعة شيخة، دار العلم، تونس، ط1، 1984، ص 705.

ونذكر من هؤلاء الرحالة على سبيل المثال "ابن رشد الحفيد" فقد حرص هذا الأخير على لقاء العلماء والأخذ عنهم إذ زار الإسكندرية والقاهرة في طريقه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج سنة (584هـ-1285م)، وتردد على مجالس العلم وحرص على الإشارة إلى المؤلفات المعول عليها في التعليم لتلك الفترة، بالإضافة إلى ترجمه لعدد كبير لأهم العلماء المعروفين في البلاد، وكانت هذه التراجم ذات أثر كبير في إضفاء الصبغة العلمية في رحلته[1] التي أصبحت من أوسع البرامج[2]، أو الفهارس العلمية فهي أحد نوعي الرحلات المغربية التي اتُخذت أساسا للخروج للحج، وأطلق عليها لفظ برنامج لأن الغالب فيها الجانب الثقافي العلمي ، ومن هنا فالبرامج نوع من الرحلات قائمة بذاتها يصُيب اهتمام مؤلفه على الجانب العلمي فقط[3].

أما النوع الآخر للرحلات "الرحلات الوصفية"، فمن عنى بالجانب الوصفي "ابن جبير" حيث أنه يأتي في المقام الأول للرحلة المغاربية ويأتي بعده البلوي والتجيبي السبتي، وابن بطوطة والعبدري، وتشمل هذه الرحلات الوصفية الجوانب التاريخية القديمة والمعاصرة لرحلة والنواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد يشترك هنا في هذه النواحي والتطرق لها جميع الرحالة على الرغم من أن هذه الرحلات قد غلب عليها الجانب الوصفي إلا أنها اشتملت على الجانب الثقافي كعنصر مكمل للرحلة لا أساس فيها[4].

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص 72.

[2]- البرامج: يقال بمعنى الفهرسة فهو كتاب يجمع فيه الشيخ أسماء شيوخه وأساتذته من مروياته وقراءته عن أشياخه والمصنفات ونحو ذلك والبرنامج لفض يستعمله أهل الأندلس كثيرا وهو يرادف الفهرسة والمعجم والمشيخه (أنظر: هاني صبحي العميد؛ **كتب البرامج والفهارس الأندلسية-دراسة وتحليل-**، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ط 1، 1993، ص14.

[3]- أحمد رمضان أحمد؛ مرجع سابق، ص 321.

[4]- محمد الفاسي؛ **الرحالة المغاربة وأثارهم**، مجلة دعوة الحق، جمعية الطالب المغربي، العدد 2-3، المغرب، 1958، ص2-3. (أنظر: عواطف محمد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص 7).

فنجد أن هؤلاء الرحالة يخرجون أســاســا للحج وطلب العلم ومنه يأتي الوصــف بجميع جوانبه وإن طغى جانب على آخر أحيانا، وهو ما نســـتطيع القول عنه أنه الســـمة المميزة لأحدهم دون الآخر في كتاباته[1].

وبناء على محتويات أغلب الرحلات تختلف قيمة الملاحظة التي تحتويها الرحلة، على اعتبار أن تلك المعلومات مســتمد عن رواية من شــاهد عيان حقيقي، حيث نجد منهم من ســجل معلوماته الجغرافية والوصـــفية عن المناطق التي زارها ومنهم من يكتفي بتدوين ما يتعلق بالأماكن المقدســـة وتعريف الناس بالمسـالك التي يقطعها الحاج وما ينبغي الحذر منه في الطريق، وهناك من سـجل كل مشـاهداته المختلفة الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية إلى جوانب النواحي الدينية[2].

رابعا: خصائص الرحلات المغربية والأندلسية:

انفرد الرحالة المغاربة والأندلســيون في كتابة رحلاتهم بخصـــائص ميزتهم عن غيرهم من الرحالة المشـارقة والتي أصـبحت سـمة بارزة من سـمات الرحلات المغربية والأندلسـية وهي[3]. غير أن هناك من الرحالة من اعتمد على الرواية والنقل في تدوين رحلاتهم ونذكر ابن بطوطة والعبدري.

ا) **التجربة:** اعتمدت أغلب معلومات الرحالة المغاربة والأندلســـيون المدونة في رحلاتهم على التجربة، ومثال هنا ابن جبير الذي " قام بقياس طول وعرض المسجد الحرام بنفسه[4]. غير أن هناك من الرحالة من اعتمد على الرواية والنقل في تدوين رحلاتهم وعلى سبيل المثال ابن بطوطة والعبدي.

---

[1]- عواطف نواب؛ مرجع نفسه، ص 75.

[2]- خليفي؛ المرجع السابق، ص 11.

[3]- عواطف محمد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص 76.

[4]- أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير؛ **تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار-رحلة ابن جبير-**، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، ص 175.

ب) الرحلة إلى الحج وطلب العلم: تنوعت أسباب رحلات الرحالة إلى المشرق ما بين أداء فريضة الحج وطلب العلم وربما التجارة[1].

ج) الوصف الجغرافي: هو القاسم المشترك لأغلب الرحالة المغاربة ووصل اهتمامهم به بدرجة كبيرة جدا فوصفوا الأحوال الجوية، المدن، المساجد والمباني...إلخ ووصفوا المجتمعات وعداتها وأخلاقها، فجاءت هذه الرحلات كوثيقة هامة حية عن أحوال ووقائع العصر الذي دونت فيه وخير دليل على ذلك ما نجده في كتابات ابن جبير[2].

د) وصف أحاسيس النفس: حيث ظهرت براعة الرحالة المغاربة في تصوير ما يختلج في نفوسهم سواء عند الفرح أو الخوف، أو الغضب من شيء مخالف للسنة والعادات كالذي انتقده ابن جبير من عادات أهل دمشق في تحيتهم وصفة سلامهم وقال عنهم:" **وهذه الحالة من الانعكاف الركوع في السلام كنا عهدناه لقينات النساء... فيا عجبا لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ربات الحجال**"[3].

هـ) ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والاشعار: نقلت كتب الرحلات المغربية والأندلسية بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي انتشرت في أماكنها المناسبة إضافة إلى ورود الكثير من الأبيات الشعرية وخاصة التي توضح مدى الشوق لزيارة مكان أو موضوع ما[4].

أما الاختلاف الأساسي فهو تماشي محتويات الرحلة وتوجهات صاحبها وتأثير العصر وللأفكار السائدة لذلك نجد العديد من الرحالة الذين يركزون على ظاهرة معينة.

---

[1]- مثل العبدري فقد انتهز فرصة خروجه للمشرق للتجارة. (أنظر: محمدالعبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تحق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط 01، 2007 ص7).

[2]- عواطف محمد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص 77-82.

[3]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص268.

[4] -نفس المصدر، ص 106،198،199،304.

تعطي الرحلة مهما كانت نوعا من التاريخ يمكن اســتغلاله حســب الحاجة وفي هذا يقول الدكتور حسـني محمد حسـن" **إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر في مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلما الاجتماع والاقتصــاد ومؤرخي للآداب والأديان والأســاطير فالرحلات منابع ثرة مختلفة العلوم وهي مجموعها ســجل حقيقي مختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور**"[1].

فالرحالة عندما يذكرون ويعالجون بعض الأحداث التي شــهدوها أو أخبروا بها ويذكرون العلماء الذين التقوا بهم وعن إنتاجاتهم ومدارسـهم وعن المدن والعمران والهندسـة ويتعرضـون للأحداث كالكوارث والمجاعات فهمة يكتبون تاريخنا بشـكل من الأشـكال وهو بهذا يخطون جانبا مهما من حياة الشـعوب الاجتماعية والثقافية التي تحاشتها الكتابات التاريخية القديمة الي حد كبير[2].

والرحالة عندما يحدثنا عن الرجال الذين التقي بهم، ينتقل بعد ذلك إلى اســتعراض تاريخهم وتاريخ بلدانهم وبهذا يتم التطرق للتاريخ وللأحداث المختلفة فالرحالة ليسـوا وسـطاء بل هم شـهود عيان وبالتالي فهم أحد المصادر التي تعتمد في الدراسات[3].

ويذكر أحد الدارســين لرحلة الورتلاني رأيه في الدور التاريخي لهذه الرحلة وهو حكم يكاد ينطبق على مجمل الرحلات العربية بين المشــرق والمغرب ويقول:" **مما يكن من عيوب في الرحلة من حيث الخلط والتكرار وكثرة الاقتباس غير المنظم من طرف المؤلف والخرافات والتحريفات الكثيرة من طرف الناسخين لها فإن الرحلة تحتوي على معلومات تاريخية ذات أهمية غير قليلة خلف لنا صاحبها شهادة**

---

[1] –حسن محمود حسن؛ **أدب الرحلات عند العرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص 5.

[2]– خليفي؛ المرجع السابق، ص 120.

[3]– نوال عبد الرحمان شوابكة؛ **ادب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري**، دار المؤمنون لنشر والتوزيع، د.م.ن، ط1، 2008، ص 52،

تامة عن الحالة الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والسياسية والدينية ليس فقط في المغرب العربي بل وحتى في المشرق العربي"[1]

هكذا كانت الرحلة المغربية تصويرا للحضارة بما يحتوي من طريف الأخبار ونادر، وعادات وتقاليد الأمم وأخلاقهم وبما فيها فوائد تاريخية وجغرافية ووصف الأحداث والبلدان والأصقاع فرحلة ابن جبير التي وضعت سنة 581هـ، تحدثنا عن الشام وصقلية وجوانب الحياة مع أبراز أهم الملامح الاجتماعية الاقتصادية والثقافية.

خامسا: أهمية الرحلة:

ومما سبق تتضح أهمية الرحلة وقيمتها في التاريخ وعن مدى الاستفادة من إضاءه جزء من تاريخ بلد من البلدان وخاصة في بعض فترات التاريخ التي تنذر فيها الكتابات المدونة، ولقد وجدنا مقدمة، ابي عبد الله المقدسي لكتابه: "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ما يعد توضيحا مسهبا لطبيعة الموضوعات والمسائل التي تتصل بوصف الأقاليم وطبائع البشر، وطرائف الحياة وفي ذلك يقول:" **أما بعد فإنه ما زالت العلماء ترغب في تضيف الكتب... فرأيت أن اقصد علماء، أغفلوه وانفرد بفن لم يذكروه...لا على الإخلال وهو ذكر للأقاليم الإسلامية... ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة... وعلمت أنه باب لابد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والأخبار وينتفع به كل مسافر ويحظى به كل تاجر"**[2].

---

[1] – خليفي؛ مرجع سابق، ص 120، نقلا عن: مختار بن طاهر فيلالي؛ **رحلة الورتلاني –عرض دراسة –**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1998، ص77.

[2] – أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي؛ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1904، ص1،2

وهكذا جاء هذا النص إثراء للكثيرين من الجوانب والعناصر الحضارية المادية والمعنوية التي تهتم الرحالة بجمعها ووضعها حيث نجد أيضا نظرة تكاملية تجمع بين البيئة وللإنسان في وصف الجوانب الحياتية لقوم من الأقوام هذا بالإضافة إلى الإشارة للقيمة العلمية لتلك المعلومات الوصفية عن الأقاليم والناس[1]، وهنا تبرز الرحلات ليست كتاريخ بحد ذاتها، ولكنها تمس التاريخ وتكتب فيه وقد تعطي تفاصيل لا يعطبها المؤرخ وإذا كانت تفاصيل بعضها تغطي الجوانب الاجتماعية للأمم والشعوب أكثر من بقية الجوانب فإن هذا لا ينفي تعرضها للجوانب السياسية والاقتصادية وغيرها[2].

فالرحلة تمثل دور الناقل لهذه الظاهرات ليضعها بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين كل حسب تخصصه وتفسيرها، فاعلم الجغرافيا مثلا يدرس ظاهرة سطح الأرض الطبيعية البشرية فإن الرحالة وهو يدون مشاهداته الجغرافية على سطح انما يعمل في خدمة هذا العلم، ومثل ذلك يمكن أن يقال في الرحلة بالنسبة لباقي العلوم التي تتعرض في مجال دراستها[3].

لقد بدأت الرحلة كعمل تلقائي لا يخضع رأيه شروط عملية معينة، الهدف من تسجيلها ذاتي يتعلق بصاحبها، حيث يذكر مشاهداتهم ويعبر عن شعوره مما لقيه ورآه وقد يستغل ذلك ليعبر عن آراءه ومذهبه لتصبح اليوم من أهم المصادر المعتمدة للكتابة عن شعب من الشعوب أو شخص من الأشخاص في فترة معينة وفي مكان معين فالرحالة المغاربة قدموا لنا نوعا من المصادر التي تلتقي فيها الرؤيتان الجغرافية والتاريخية الصرفة التي تتناول القيادات والدول ونغفل تلك المؤلفات الجغرافية ،فإذا ما لاحظنا أن الجغرافيا ذاتها توجه التاريخ، وإن التاريخ ذاته- في أحد جوانبه- ما هو إلا صراع على الجغرافيا، أدركنا أهمية تلك المؤلفات ودورها في الدراسات التاريخية

---

[1] – حسين محمد فهيم؛ **ادب الرحلات** –سلسلة كتب ثقافية شهرية –، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون ولآداب، الكويت، د. ط، د.ت ص 75.

[2]- نوال عبد الرحمن شوابكة؛ المرجع السابق، ص 73.

[3] حسين محمد فهيم؛ مرجع سابق، 75.

الفصل الأول

" ابن جبير حياته عصره ورحلته"

وفيه ثلاث مباحث:

- ❖ المبحث الأول: ابن جبير ترجمته صفاته مكانته الاجتماعية
- ❖ المبحث الثاني: عصر ابن جبير
- ❖ المبحث الثالث: رحلة ابن جبير خصائصها، مسارها والمعلومات الواردة فيها

المبحث الأول: ابن جبير (540هـ – 614 هـ / 1145 م – 1217 م)

ا) ترجمته:

كان ابن جبير عربيا أندلسيا واسمه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد جبير بن سعيد ابن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني[1] كان جده عبد السلام من أوائل الداخلين إليها مع بلج القشيري[2] في 123 هـ / 740 م[3] فهو أندلسي شاطبي بلسني[4].

ولد في ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة 540 هـ / 1145 م ببلنسية[5] وقيل أن مولده كان سنة 539 هـ / 1144 م في شاطبة أو بلنسية[6]، وسبب نسبه لبلنسية مولده بها على أرجح الأقوال أما نسبه الى شاطبة فعائد لإقامته بها فترة من الزمن.

---

[1]– ابن الخطيب؛ مصدر سابق، ج2، ص 230.

[2]– بلج ابن بشر بن عياض القشيري، سيره هشام بن عبد المالك على مقدمة جيش كثيف مع عمه كلثوم الى إفريقية عندما ثار أهلها على أميرهم ابن الحبحاب فقاتل البربر وقتل عمه في أوائل سنة 124 هـ / 741 م وحصر بلج في حادثة مراكب أمير الأندلس فرحل إليها مع أصـــحابه ثم لم يلبث أن قتل أمير الأندلس واســـتولى عليها وتوفي متأثر بجروحه وكانت عاصمته قرطبة. (أنظر: الزركلي؛ مصدر سابق، ج2، ص 73).

[3]– ابن الخطيب؛ المصدر السابق، الموضع نفسه.

[4]– نسبة الى مدينة (بلنسية) وهي مدينة مشهورة بالأندلس كان أهلها يسمون عرب الأندلس ينسب إليها عدد كبير من العلماء وتقع حاليا شرق إسبانيا على البحر المتوسط. (أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي؛ **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1988 ج1، ص 490).

[5]– ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ج 2، ص 239. (أنظر: أحمد بن محمد التلمساني المقري؛ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج 2، ص382).

[6]– أحمد المكناسي ابن القاضي؛ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، د.ط، 1973 م، ج1 ص 277.

ويعد والده من أعيانها وأبرز كتابها وسلك، ابن جبير نهج والده في ذلك ثم سكن غرناطة[1]، توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرون 29 شعبان سنة 614 هـ / 1217 م[2] وقد بلغ من العمر 74 سنة[3].

نشأ ابن جبير في كنف أبيه الذي أعده لتقلد المناصب، فتلقى العلم عن أبيه وعلماء عصر بشاطبة وعنى بالأدب فبرع فيه وبرز في صناعة الكتابة[4].

وتنقل ابن جبير في مطلع حياته في عدد من المدن الأندلسية والإفريقية، فقطن بلنسية وشاطبة وغرناطة وسبتة[5]، وفاس[6] وتقلب في المناصب الكتابية الديوانية، ويعد أحد كتاب الدولة الموحدية حكام الأندلس والمغرب، وتمتع بمكانة عالية لديهم لسعة علمه وقدراته على نظم الشعر والنثر[7].

ب): صفاته:

كان ابن جبير أديبا بارعا وشاعرا مجيدا سنيا فاضلا، نزيه النفس كريم الأخلاق أنيق الخط، بديع النثر حسن النظم، ومحاسنه عديدة، ذائع الصيت مشهور بالخير والصلاح، فأهلته صفاته لتقليد أرفع المناصب في الدولة وهو الكتابة وأتاح له ذلك المنصب الاطلاع على العديد من الأمور المهمة والتي لا

1- غرناطة: أقدم مدن مدينة البيرة الأندلسية وأعظمها وأحسنها وأحصنها ويقال لها أغرناطة وأسقطها العامة (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج4، ص 324).

2- ابن القاضي؛ مرجع سابق، ج1 ص 280.

3- ابن الخطيب؛ مصدر سابق، ج2، ص 239.

4- المقري؛ مصدر سابق؛ ج2، ص 382.

5- سبتة: مدينة مشهورة بالمغرب الاقصى تقع علي ساحل البحر المتوسط وهي من أهم قواعد المنطقة ومرساها، تقابل جزيرة الأندلس على طرف مضيق جبل طارق تميزت بحصانتها. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 3، ص182).

6- فاس: مدينة بالمغرب قبل اختطاط مراكش وهما مدينتان متفرقتان، الأولى تسمى عدوة القرويين والثانية تسمى عدوة الأندلسيين وكلتاهما تقع في سفح جبل والنهر بينهما. (أنظر: الحموي؛ مصدر نفسه، ج 4، ص 230).

7- ابن القاضي؛ مصدر سابق، ج 1، الموضع نفسه.

يتاح للمؤرخين العادين معرفتها[1]، ونلاحظ أن ما تميز به ابن جبير من صفات جعلت المقري يصفه بالمروءة والسعي في قضاء حوائج الناس والعمل لأداء واجب إخوانه عليه وإيناس الغرباء فقال: "**إن صاحب كتاب الملتمس كان أحرص الناس على مصاهرة قاصي غرناطة أبي محمد عبد المنعم بن الفرس**[2] **فجعل ابن جبير الواسطة في اتمام زواجه ولكن لم يوفق الله بينه وبينها، فآتاه وشكي له ذلك، فقال له:** " **انما ما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما إذ هو من غرضك**"، **وخرج من حينه وفصل القضية من غير أن يظهر عليه أدنى امتنان بل إنه آتاه بمائة دينار مؤمنيه يريد أن يعطيها له يعوضه ...**"[3]

ومما يروي عن لسانه من شعر في حبه لقضاء الحوائج:

يحسب الناس بأني متعب *** وفي الشفاعات كليف الوري

والذي يتبعهم من ذلك لي *** راحة في غيرها لن أفكرا

ولودي لو أقضي العمر في *** خدمة الطلاب حتى في الكري[4]

ولم تكن كل صفات ابن جبير السابقة سببا في ذيوع شهرته، بل إن شهرته تلك عائدة الى تدوينه لرحلته التي اقترن إسمه بها، حيث زار العديد من البلدان والأماكن وسجل مشاهداته فيها بأسلوب جميل بديع.

---

[1]– ابن القاضي؛ مرجع سابق، ج1 ص 278، (أنظر: ابن الخطيب مصدر سابق؛ ج 2، ص 231).

[2]– هو عبد المنعم بن محمد بن الرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس ولي القضاء بجزيرة شغرا وبمدينة وادي آشي ثم بجيان ثم بغرناطة وكان له النظر في الحسبة والشرطة، له عدة مؤلفات منها: كتاب الأحكام، مولده سنة 524 ه (أنظر: أبو الحسن النباهي المالقي الأندلسي؛ **تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، تحق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1983، ص120).

[3]– المقري؛ مصدر سابق، ج3، ص 295–296.

[4]– نفس المصدر ؛ ج2، ص 488.

ج): مكانة ابن جبير

تلقى ابن جبير العلم على يد عدد كبير من العلماء، وقد ذهب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري الى القول : بأنهم أربعة وعشرون شيخا[1]، وهذا عدد قليل بالنسبة لشخص بلغ هذه المكانة، مع تعدد رحلاته الى المشرق فهو بلا شك تلقى العلم على يد الكثير منهم خلال رحلاته ، ولعل السبب عائد الى عدم ذكره أو ترجمته لهم، حيث اكتفى أحيانا بإيراد الاسم الأول أو اللقب أو الشهرة مما أدى الى صعوبة تتبعهم والعثور على تراجم وافية لهم، وهو في هذه الناحية يختلف عن غيره من الرحالة الذين انتهجوا منهج الرحلات الوصفية، من حيث الترجمة الكاملة لمشايخهم التي قد لا توجد بهذه السعة والشمول لدى كتاب التراجم من حيث الإشارة لأماكن التدريس والمؤلفات وغيرهم من الأمور المتعلقة بهم؛ وقد بلغ ابن جبير مكانة عالية إذ يقول المنذري: "إنه كان مقدما في بلاده"[2] وهنا يتضح لنا أن ارتفاع مكانته عائد لعمله ومجالسته لعلماء المشرق وغيرهم؛ بالإضافة الى تقلده منصب كاتب أمير غرناطة المرموق بفضل ما تمتع به من جمال النظم سواء كان شعرا أو نثرا ، وإن كانت شهرته النثرية قد غلبت عليه وما يدل علي ذلك رحلته المدونة الشاهدة على دقته وبراعته، وقد أشار الى ذلك العلامة ابن جابر وادي آشي عقب وصفه لدمشق حيث قال : "ولقد أحسن فيها وصفا ... وأجاد وتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد...هذا ولم تكن له بها إقامة... ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الألسن وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين "[3]

د):مؤلفاته

لم يدون ابن جبير سوى رحلته الأولى إذ ليس بأيدينا معلومات كافية عن رحلتيه الأخيرتين إلا النذر المبعثر

---

[1]– عواطف محمد يوسف نواب؛ مرجع سابق، ص 104. نقلا: عن عبد القدوس الأنصاري؛ **مع ابن جبير في رحلته،** ص39. (أنظر: لأهم شيوخه من كتاب؛ **رحله ابن جبير**، في مقدمة محمد مصطفى زيادة، مركز ودود للمخطوطات موقع شيخه المري، ص 19).

[2]– عواطف يوسف نواب؛ نفس المرجع، نفس الموضع، نقلا عن: المنذري؛ **التكملة**، ج2، ص 407.

[3]– المقري؛ مصدر سابق، ج 2، ص 387.

في طيات الكتب المترجمة، كما أن من ترجم له ذكر أسماء مختلفة لرحلته وهي: "تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار"[1]،"رحلة الكناني"[2] وكتاب " اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك "[3] ،ويبدوا أن هذا الاسم الأخير ليس اسما لرحلته التي اشتهر بها وإنما هي رسالة مستقلة، فقد أشار الى ذلك إشارة طفيفة ابن عبد الملك المراكشي في كتابه "الذيل والتكملة "حيث قال : " وله مقالة سماها رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك كتب بها الى وليه أبي الحسن بن مقصير من علماء فاس عند عودته الى المشرق في ذي القعدة سنة 592هـ / 1195م"[4].

ونلاحظ هنا أنه ذكرها بلفظ رسالة وليس رحلة وأنه كتب بها إليه سنة 593هـ/ 1196م، ومن المعروف لنا أن زمن رحلته الأولى كان سنة 578 هـ / 1182 م وتاريخ إرسال هذه الرسالة في فترة لاحقة ما بين رحلته الثانية والثالثة، ومما يؤيد ذلك أن عنوان الرحلة التي بين أيدينا تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار كما هو مدون في بدايتها[5].

ومما سبق يتضح أنها رسالة مستقلة ، إما تكون وصفا لرحلته الثانية وتقتصر على الآثار الكريمة والمناسك، أو ربما تكون جزء مأخوذا من رحلته الأولى تشتمل فقط على الآثار الكريمة والمناسك أيضا، وهذا كله يدعم قول السابق: "بأنها مختلفة عن الرحلة التي اشتهر بها"، وقد كان ابن جبير ناظما للشعر والنثر كما أشرنا سابقا فله أشعار كثيرة منها: ديوان شعر يعرف "بنظم الجمان في التشكي من إخوان

---

[1]– زكي محمد حسين؛ **الرحالة المسلمين في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 198، ص70.

[2]– كراتشوفسكي أغناطيوس يوليانوفتش؛ **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هشام، دار الثقافة في جامعة الدول العربية، د.م.ن، د.ط، 1957، ج1 ص305.

[3]– نفسه.

[4]– عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي؛ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج 5، ص 598.

[5]– ابن جبير؛ الرحلة، ص7.

الزمان"[1] وله جزء آخر سماه " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح في رثاء زوجته أم المجد"[2]، وأشار شكيب أرسلان الى عدم صحة ما قيل في أن الرحلة ليست من تأليفه[3] قال: «وهذا غير صحيح لأن نسجه معروف وأسلوبه العالي واحد لا تختلف فيه جملة، وديباجة كلام ابن جبير لا تخفى على أحد[4].

المبحث الثاني: عصر ابن جبير

عاش ابن جبير في عصر تتنازع فيه عدة قوى ويمكن ذكرها باختصار هي: الموحدون 1127م /514هـ 1269 / 607 هـ) تأسست هذه الدولة على يد قبيلتي مصمودة من المغرب الأقصى وزناتة من المغرب الأوسط، وأطلق عليهم اسم الموحدون لكون أتباع هذه المدرسة كانوا يدعون الى توحيد الله[5] وقيل أيضا أن هذا الاسم أطلقه المهدي بن تومرت على أتباعه، ومنذ سنة 540 هـ بعث عبد المؤمن بن علي بقيادة أبي عمر ابن سعيد الى بلاد الأندلس. فأخذ الموحدون يتقدمون في الجزيرة واستطاعوا أن يتغلبوا على الإسبان بعد كفاح طويل وأن يظموا إليهم جميع الأراضي التي استولي عليها النصارى إبان اضطراب الأندلس بعد ضعف المرابطين، ما عدي مدينة اشبيلية[6] فقد استمرت عند البرتغاليين، وفي سنة 567 هـ / 1170 م استولى سلطان الموحدين (يوسف ابن عبد المؤمن[7]) على بلنسية عاصمة ابن مردنيش[8] حليف

1– ابن القاضي؛ مرجع سابق، ج 1، ص 279.

2– شكيب أرسلان؛ **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج 3، ص 118.

3– ابن القاضي؛ مرجع سابق؛ نفس ج، ص 280.

4– شكيب أرسلان، مرجع سابق، نفس ج، الموضع نفسه.

5– عبد الواحد المراكشي؛ **المغرب في تلخيص أخبار المغرب**، تحق: محمد سعيد العريان، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث، (د.م.ن، د.ط، د.ت)، ص201، 204.

6– محمد ابن عبد الله عنان؛ **دولة الاسلام في الأندلس (عصر الموحدين)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن، د ط، د.ت)، ج5، ص11–12.

7– ابن عذارى المراكشي؛ **البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب (قسم الموحدين)**، تحق: محمد ابراهيم الكناني، محمد زنيبر، محمد ابن تاوين، عبد القادر زامة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985 م، ص 121–122.

8– المراكشي؛ مصدر سابق، ص 305.

النصارى وأصبحت الأندلس إسلامية، كلها تحت سيادة الموحدين وقد بلغوا غاية مجدهم وذروة عظمتهم في بلاد الأندلس.

أما في المشرق فنجد الدولة العباسية التي قامت سنة 151هـ – 750 م / 1258 م –655 هـ أو الخلافة العباسية ، والتي كانت في قمة ضعفها في عهد ابن جبير الذي وصف حاضرتها بغداد[1] فقال : " **وقد ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها إلا شهيرة اسمها وهي كالطلل الدارس والأثر الطامس أو تمثال الخيال الشاخص ، فلا حسن فيها يستوقف البصر إلا رحلتها التي هي بين شرقها وغربها منها ، كالمرآة المجلوة بين صفحتين ...**[2]" ، فكانت الخلافة العباسية في بغداد تحت سيطرة البويهيين[3] الشيعة الذين استبدوا بالأمر وتسلطوا على العامة من السنة، بل وقد بلغ الأمر أنه لم يبق للخليفة العباسي إلا اسم الخلافة فقط ، وأن الأمر كان بيد الوزير البويهي ، وقد تمادى البويهيون في هذا التحكم لدرجة محاولتهم إخراج الخلافة من العباسيين في بغداد وإعلانها للعبيديين ، مما جعل الخليفة العباسي يستنجد بالسلاجقة الذين دخلوا بغداد سنة[4]448هـ وأزالوا بذلك سلطة بني بويه، وكانت السلطة الفعلية للدولة العباسية في عهد البويهيين لم تتجاوز العراق وأجزاء من بلاد فارس. وبعد دخول السلاجقة الأتراك بغداد وإزالتهم للبويهيين أعادوا هيبة الخلافة.

---

[1]– بغداد: تقع على نهر الدجلة بالعراق، بناها المنصور عاصمة للخلافة العباسية وهي في الوقت الحاضر عاصمة دولة العراق، (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج1، ص 541).

[2]–ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 193،

[3]– البويهيين: أسرة فارسية حكمت في بلاد فارس وكان مبدأ ظهورها سنة 321 هـ أسسها "بوية بن فنا حسروا ابن تمام بن كوهي ليصل النسب لـ"بيزاد جرد "الملك الفارسي، كان دخولهم سنة 334 هـ لنجدة الخليفة العباسي ضد سلطة الأتراك، ناصرو الشيعة، ومكنوا للتشيع حتى أزالهم السلاجقة سنة 447 هـ، (أنظر: وفاء محمد علي؛ **الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1991، ص 13 – 14).

[4]– عصام عبد الرؤوف الفقي؛ **بلاد الجزيرة أواخر العصر العباسي**، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت، ص 17–18.

فامتد نفوذ الدولة العباسية الى سواحل الشام[1] إلا أن هذه القوة التي أضافها السلاجقة للدولة العباسية في بغداد لم تدم طويلا إذ سرعان ما تفككت الدولة التي أعادت السلاجقة لملمة أجزائها الى مجموعة دول.

وفي ظل تقهقر وتراجع الخلافة العباسية، نجد العنصر الصليبي الذي استغل الوضع الراهن في المشرق الإسلامي و أجتاح سواحل بلاد الشام (1096م/489هـ-1291م/689هـ) وهذه الهجمات عبارة حركة جيوش أوربية مسيحية (كاثوليكية) هاجمت بلاد الشام علي شكل مجموعة من الحملات و الحروب المتتالية[2]، وقد بلغ عددها تسع حملات ابتدأت الأولى عام 489هـ/ 1096م، وانطلقت الحملة الأخيرة – التاسعة- عام 670هـ/ 1271م، و كانت في مجملها حملات دينية تحت شعار الصليب[3] ، من أجل الدفاع عنه وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة علي المشرق، والأراضي المقدسة به؛ و قد استطاعوا إقامة العديد من الإمارات والممالك، وقد عاصر ابن جير نهايات الحملة الصليبية الثانية و بداية الحملة الصليبية الثالثة1149م/544هـ-1189م/584هـ[4].

وعلى غرار القوي السياسة السابقة الذكر عاصر ابن جبير فترة ظهور الدولة الأيوبية (1174م/ 569هـ-1342م/742هـ) في المشرق العربي، وبنو أيوب هم أسرة مسلمة حكمت أجزاء واسعة من المشرق العربي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وقد نشأت الدولة الأيوبية علي يد السلطان صلاح

---

[1]- محمد سهيل طقوش؛ **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 245-248.

[2]- ستفين رنسيمان؛ **تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت الي أورشليم**، تر: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م.ن، ط 2، 1993، ج 1، 12.

[3]- محمد مؤنس عوض؛ **الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية**، تق: سعيد عبد الله جبريل البشاوي، دار الشروق، (د.م.ن، د.ط، د.ت) ص8-9.

[4]- ميخائيل زابوف؛ **الصليبيون في الشرق**، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو. روسيا، د.ط،1986، ص 41، 43، 177، 193.

الدين الأيوبي[1] في مصر، ثم امتد حكمه الى الشام[2] ووحد الجهة الاسلامية. إذ عرفت بلاد الشام فوضي شاملة منذ أن وطأة أقدام الصليبيين أرضه، وأخذ التمزق والتنافس طريقه بين حكامها، واستمر هذا الوضع قائما إلا أن تولي نور الدين زنكي حكم الموصول والجزيرة وحلب[3]. و منذ البداية نجد هذا الأخير يؤمن بفكرة جبهة إسلامية موحدة ، لكن و بوفاته عام 569هـ/1173م، دخلت دولته في اضطراب و فوضى شاملة، بعد أن كافح لتوحيد صفوفها من أجل الصمود في وجه الصليبين، فخلفه في الحكم ولده إسماعيل وكان عمره 11عاما، ما أدي الى قيام التنافس و الصراع بين الأمراء للانفراد بالسلطة، وكان صلاح الدين الأيوبي في ذلك الوقت يتولى أمور مصر وقد استاء من الفوضى التي عمت مملكة نور الدين بعد وفاته، فتوجه الى الشام لإعادة توحيد الجبهة الإسلامية ووضع حد لهجمات الصليبيين عليها، وبوصوله دمشق تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الشام خاصة والمشرق العربي بصفة عامة. فمع حلول عام 581هـ/1185م كان صلاح الدين قد ظمٍ الموصلَ تحت سيادته وبهذا الانتصار يكون قد استطاع إعادة توحيد الجبهة الإسلامية تحت راية الدولة الأيوبية ومن ثمة أصبح بمقدوره مواجهة الصليبيين[4].

---

[1]- صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف ابن أيوب أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي من أشهر ملوك الإسلام ولد بتكريت 523هـ/1123م، وتوفي بها، اشترك في العديد من المعارك ولقب بملك النصر فتح بيت المقدس 587هـ/1193م. (أنظر: ابن العباس شمس الدين أحمد بن بكر ابن خلكان؛ **وفيات الأعيان وأباء الزمان**، تحق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، د.ط ، 1986،ج7، ص 139).

[2]- شهاب الدين عبد الرحمان إسماعيل أبو شامة؛ **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، د.م.ن، ط1، 1997، ج2، ص148.

[3]- محمد بن عبد الكريم ابن الأثير؛ **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 4، 2003، ج 9، ص 18، 19، 29، 30.

[4]- أبو شامة؛ مصدر سابق،333-334.

المبحث الثالث: رحلة ابن جبير ومميزاتها

كما سبق وذكرنا أن لابن جبير ثلاث رحلات الى المشرق العربي أو بمعني أصح ثلاث رحلات الى البقاع المقدسة –الرحلات الحجازية–، كان الهدف منها أداء فريضة الحج، إلا أن لكل رحلة دافعها المختلف.

فكانت رحلته الأولى[1]، لأداء فريضة الحج وقد سجل ابن جبير تفاصلها ودوافعها، وأوضح قائلا أنه كاتب السيد أبي سعيد[2] صاحب غرناطة الذي استدعاه ذات يوم ليدون له كتابة، فلما ذهب إليه ابن جبير وجده على طاولة الشراب، فطلب من ابن جبير مشاركته فامتنع في البداية فألح علية فأصابه الخوف فعاد السيد

---

[1]– عن طبعات رحلته ابن جبير، من المعروف انه قد اهتم بها عدد من المستشرفين خاصة وليام رايت،W.Wright وكذلك سكياباراليSchiaparelli ، وقد نشر رايت رحلة ابن جبير للمرة الاولى عام 1852، وصدر عمله في ليدن Leyden عام 1852 أنظر:

Wright .the trevels. Of oven gubair.ed by. W. Wright Layden 1852.

أما الطبعة الثانية فكانت من مراجعة المستشرق دي جوية De geoye ونشرت ضمن سلسلة جب التذكارية، الجزء الخامس، وصدرت في ليدن Leyden عام 1907. The trevel of aban gubayr edided from ms in the univiresty library of Leyden oe Wright second edition revised by. M. g. de

Goeje and brinted from trustees the e.g w. gabb nemorial .Leyden 1907.

أما من جهة سكياباريلي فقد صدر في روما عام 1906، وبعنوان: schaiparelli.abn

Gubayr. Gobeir viagion .in Sicilia. Sirai palestina mesppotania Arabia egitto compiute Mel secol xll Primo tradusione sull. Originale arabe. G. a. c schaiparelli. Roma 1906.

عن ذلك: (أنظر: آنخل جنثالث بالنثيا؛ **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1،1928ص 317)، (كراتشكوفيسكي؛ المرجع السابق، ج1، ص300–301).

[2]– هو أبو سعيد بن عبد المؤمن الكومي عقد له والده على سبتة سنة 547ه/1159م وعلى غرناطة سنة 544ه وقد أقره على غرناطة أخوه يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عليها سنة 561ه (أنظر: أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي؛ **الأنيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، د.ط، 1972م، ص 194–198).

أبي سعيد فأصر عليه، فشرب سبعة أقداح منها فلما فرغ ابن جبير من شربها، ملأها له سبع مرات بالدنانير وأفرغها في حجر ابن جبير، الذي نذر بأن يجعلها كفارة لما فعل وعزم على الخروج لإداء الحج ثم باع منزلا له ليكمل نفقات الرحلة فبدأ رحلته سنة 578هـ/ 1182م[1]. وحوت الرحلة العديد من المعلومات المختلفة، السياسية والحربية والاجتماعية، كما تضم وصفا لمختلفة الجوانب الثقافية والحضارية، والتي تهم الدارسين لتلك الفترة، فابن جبير قام بوصف كل مشاهداته في طريقه الى بلاد الشام وصقلية حتى عودته الى غرناطة عام 581هـ/1185م فجاءت ثرية بالمعلومات السياسة والحربية والاجتماعية والعقائدية والأخلاقية في حياة بلاد الشام وجزيرة صقلية في عصر الحروب الصليبية، وفي بعض الأحيان نجده ينفرد بإيراد إشارات لا نجد لها نظيرا في رحلات الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر، في بهذا كتاب نفيس لا غنى عنه لكل من أراد الاطلاع على أحوال تلك الحقبة[2].

ثم قام برحلة ثانية وهذه الرحلة كان الدافع لها ما بلغه من أخبار فتح صلاح الدين لبيت المقدس حيث نلاحظ نظمه للقصيدة يهنئ فيها صلاح الدين بفتح بيت المقدس.

أطللت على أفقك الزاهر *** سعود من الفلك الدائر[3]

فارتحل الى هناك عام 585هـ/1189م وعاد الى بلاده في عام 527هـ/1191م، إذ تمكن خلالها من أداء

1- المقري؛ مصدر سابق، ج2، ص385-386. وقد انفرد المقري بما ذكره حيث أن ابن جبير لم يشر لسبب عزمه الى الحج والباعث له، مع ملاحظة بعد المقري عن الحقبة التي عاش فيها ابن جبير مما يجعل تلك القصة مثار شك كبير خاصة وأن المقري لا يذكر مصدر روايته.

2- محمد مؤنس أحمد عوض؛ **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية**، عين الدراسات والبحوث، د.م.ن، ط1، 1995، ص287.

3- المقري، مصدر سابق، نفس ج، ص383.

فريضة الحج، ثم عاد الى غرناطة ورحل منها الى مالقه[1] وسبتة وفاس ولم يلبث أن انقطع عن الكتابة وجلس لتدريس الحديث[2].

أما الرحلة الثالثة فيختلف الباحثون في شأن دوافعها، فالبعض يرى أنه قد تأثر لوفاة زوجته عاتكة[3]، فإرحل الى الحجاز طالبا للراحلة والسلوان عقب دفنه لزوجته بسبتة حيث قال عنها:

بسبتة لي سكن في الثرى * * * وحل كريم إليه أتى

فلو استطعت ركبت الهوى * * * فررت بها الحي والميتا[4]

فكانت هذه آخر رحلاته عام 614 هـ/1217م حيث جاور بمكة طويلا ثم بيت المقدس ثم تجول بمصر واستقر بالإسكندرية للتدريس الى أن توفاه الله[5].

وقبل البدء في بيان مميزات رحلته الأولى، لا بد من إبداء ملاحظة لعل الكثرين قد غفلوا عنها وهي؛ عدم عودته بعد أداء فريضة الحج رأسا الى غرناطة من الطريق التيّ أتى منها عبر مصر ثم عبوره البحر الأحمر الى جده، فقد عاهد الله تعالى بعدم عبوره مرة أخرى، بسبب ما عاناه من أهوال ومشقة، وبما أنه لم يكن هناك إلا طريق البحر الذي يسيطر عليه الصليبيون في تلك الفترة، لم يكن أمامه سوى الذهاب الى العراق وغيرها من مدن الشام ثم العودة بحرا مرورا بجزيرة صقلية الى الأندلس، ويتضح ذلك من خلال

---

[1]– مالقه: مدينة بالأندلس في إسبانيا تقع في جنوب البلاد تطل علي ساحل بحر المتوسط. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج5، ص43).

[2]– ابن الخطيب، مصدر سابق، ج2، ص232.

[3]– عاتكة: هي أم المجد بنت الوزير أحمد بن عبد الرحمان الوقشي كانت وفاتها يوم السبت العاشر من شهر شعبان سنة 601هـ/م1204 وقد قام ابن جبير برحلته الثالثة عقب وفاتها فوصل مكة سنة 602هـ /1205م، وجاور هناك طولا. (أنظر: المقري؛ مصدر سابق، ج 2، ص 489).

[4]– نفسه.

[5]– ابن الخطيب؛ مصدر سابق، ج2، ص232.

عابرته:"...**فكنا نموت بها مرارا، والحمد لله علي ما منّ به من العصمة ...سرورا بما أنعم الله به من السلامة ، ألا يكون انصرافنا علي هذا البحر الملعون، إلا إن طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطرق...**"[1]

أولا: خصائص ومميزات رحلة ابن جبير:

لقد امتازت رحلة ابن جبير بالعديد من الميزات نذكر منها:

ا): تدوينها على هيئة يوميات لذا كان وصفه شاملا مفصلا مع إثبات ذلك بالتاريخ الهجري والميلادي، وهذا يخالف ما ذهب إليه كراتشوفيسكي من أنه دونها بعد رجوعه[2]، فالدلائل كلها تشير الى تقييدها يوما بيوم. ومنها أيضا عنايته الكبيرة بوصف المدن التي مر بها و تجدر الاشارة الى أن القسم الخاص ببلاد الشام يعد قسما كبيرا إذ ما قورن بالأجزاء الخاصة بالأقاليم الأخرى في نفس الرحلة، فقدم عنها في روايته التفاصيل الثرية المسهبة التي يجد فيها الباحث ذاته عندما يطالعها و يركز على جوانب لا تهتم بها كتب التاريخ العام، التي تعني أول ما تعني بالجانب السياسي أو الحربي دون أن تلقي الضوء على الزوايا الاقتصادية، الاجتماعية و الأخلاقية، و لا يفهم من هذا أنه قد أفرد للجانب الاقتصادي أو الاجتماعي مبحث ولكنه يستنتج من خلال كلامه من الواقع الذي عايشه هناك.

ي): حفلت رحلته بالمدح والثناء على عدد كبير من الأموات والأحياء نظرا لصلاحهم وتقواهم[3]، كما اتصفت ببعض المبالغات والتي قد تصل الى حد التهويل لما يشاهده ليظهر مدى إعجابه أو استنكاره لما يصفه

---

[1]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 52.

[2]– كراتشوفيسكي، مرجع سابق، ج1، ص 299.

[3]– كان المسلمون في تلك الفترة يعتقدون بالأولياء الصالحين وخاصة الميتين، حيث كانوا يشيدون لهم الاضرحة ويتقربون إليهم بالدعاء وهذا في الواقع بدعة منكرة وغير مقبولة فالدعاء والعبادة لله وحده.

ونستدل على ذلك عندما تعرض لعكا[1] حيث قدم وصفا يفيض بالحيوية المتدفقة بين كلماته وقد أوضح أنها "قاعدة الإفرنج بالشام"[2]. أي أنها بمثابة المركز الصليبي بالشام، وأشار إلى أنها مشابهة في عظمتها بالقسطنطينية[3] ونتصور أن ذلك الوصف الأخير يحوي مبالغة كبيرة وغير منطقية، خاصة إذا علمنا أن ابن جبير لم يشاهد القسطنطينية ذاتها.

وبالرغم من أهمية رحلة ابن جبير إلا أنه وقع في بعض الأخطاء التاريخية والتي كان من المفروض عليه التحري عنها مثل: مكان مولد الحسن والحسين رضي الله عنها حيث ذكر أنه بمكة المكرمة[4] ولا ريب أن اشتهار هذا الأمر بين العامة من أهل مكة المكرمة جعله ربما يقع في مثل هذه الأخطاء.

ويلوح لقارئ رحلة ابن جبير استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مكانها الملائم في الرحلة إضافة الى استعماله لبعض الكلمات العامية المستخدمة لدى أهل كل بلد مر به، ونلمس خلق ابن جبير في مدح من يستحق المدح وذم من يستحق الذم دون تجاوز أوتطاول[5].

كما عمل ابن جبير على التأكد مما شاع بين الناس عن زيادة ماء زمزم. وقيامه بقياسه للتأكد فعلا من زيادته أو نقصانه في شهر شعبان حيث أثبت بطلان زعم زيادته.

---

[1]– عكاً: اسم مدينة على ساحل بحر المتوسط تقع شمال فلسطين وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها وأحضرها وفتحت عكة في حدود سنة 15هـ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج4، ص144).

[2]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 276.

[3]– نفس المصدر؛ ص 276.

[4]– والصحيح ولادتهما بالمدينة المنورة.

[5]– مدحه لصلاح الدين الأيوبي وذمه لمكثر أمير مكة.

وحفلت رحلته بالكثير من المحسنات البديعية مثل الاستعارة والسجع البديع دون تكلف، بحيث يسهل فهمها، كما نجده يقدم معلومات ببراعة مع حسن تصوير وتشبيه وصدق في الوصف والتحري بقدر اطلاعه على حقائق بعض الأمور المذكورة له، إضافة الى اهتمامها البالغ بما ساد في العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من بعض الأخطاء والهفوات التي وقع فيها ابن جبير إلا أن مدونته تحتوي الكثير من المعلومات المهمة التي لا يستغنى عنها مؤرخ أو جغرافي، يتناول تلك الفترة بالدراسة، إذ هناك من يقرر أن هذا المصنف " **رفيع الأسلوب يختتم بجدارة حلقة الجغرافيين الأندلسيين لذلك العصر**"[1] وأنه لولا تسجيله لها لبقي كأحد الكتاب المشهورين المعروفين بجمال الأسلوب وحسن الصياغة في الدولة الموحدية فقط[2].

ثانيا: تاريخ الرحلة ومسارها

إن سير رحلة ابن جبير معروفة لنا بفضل الإشارات الدقيقة والتواريخ المحددة، لأنه بدأ بتقيد يومياته منذ اليوم التالي لركوبه البحر، فقد ترك ابن جبير غرناطة يوم الخميس الثامن من شوال من سنة 578هـ/ 1183 م) إلى جزيرة طريف[3]، وعبر البحر من هناك الى سبته فلقي بها سفينة "للجنوية" مقلعة

---

[1]– كراتشوفيسكي؛ مرجع سابق، ج1، ص 299.

[2]– على ابن عبد الله الدفاع؛ **رواد علم الجغرافيا في الحضارة الإسلامية**، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط 2، 1993، ص 171، 172.

[3]– طريف: جزيرة على البحر المتوسط في أول مضيق جبل طارق، يتصل غربها بالمحيط الأطلسي وهي متصلة بمدينة الخضراء. (أنظر، محمد بن عبد المنعم الحميري؛ **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)**، تحق: إحسان عباس، مكتبة لبنان. بيروت، ط2، 1984، ص 395).

إلى الاسكندرية[1] فركبها يوم الخميس تسعة وعشرون من شوال، وسارت السفينة عبر الزقاق إلى سردينيا[2] ثم أقلع المركب يريد جزيرة صقلية، فأرست على شاطئها في موضع لم يذكره ابن جبير، ولما فارقت بر صقلية واتجهت غربا حتى وصلت جزيرة "اقريطش"[3] تقديرانا لا عيانا واستقرت أخيرا عند الإسكندرية يوم تسعة وعشرون ذي القعدة، أي أنها استغرقت في سفرها من جزيرة طريف الى الإسكندرية ثلاثين يوما[4].

ثم رحل ابن جبير عن الإسكندرية يوم الأحد سبعة ذي الحجة 587ه الى القاهرة حيث نزل بفندق "أبي الثناء" بزقاق القناديل قرب جامع عمرو بن العاص، ثم سافر من القاهرة في النيل الى "قوص"[5] فاجتازها على مدن الصعيد دون أن ينزل بإحداها، ماعدا المدن التي توقفت المراكب عندها بأمر من السلطات المحلية.

وصل ابن جبير الى قوص يوم الخميس 24 محرم سنة 579 ه، فوجدها حفيله بالأسواق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار من مصر والمغرب واليمن والهند والحبشة، ثم فصل منها الى عيذاب[6] عن طريق الصحراء المشهورة ـ صحراء سيناء ـ، ليعبر البحر الأحمر منها الى جدة، ثم غادر ابن جبير

---

[1]– الإسكندرية: هي الميناء البحري الرئيسي والتاريخي في مصر وثاني أكبر المدن المصرية بعد القاهرة العاصمة أسسها الإسكندر الأكبر عام 322ق.م (انظر: عبد المنعم العفيقي؛ **موسوعة 100مدينة إسلامية**، الأوراق الشرقية لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 47.

[2]– سردينيا: هي جزيرة في بحر المتوسط ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وجزيرة إقريطش أكبر منها وقيل أن سردينيا مدينه بصقلة (انظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج3؛ ص 209).

[3]– إقريطش: اسم جزيرة في بحر المتوسط يقابلها من بر افريقية ليبيا وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى، (أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص26).

[4]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 7، 8، 11، 12.

[5]– قوص: مدينة مصرية تاريخية عريقة في صعيد مصر، عرفت باسم العالية وهي تقع في شرق النيل، دخلها الإسلام على عهد عمرو بن العاص. (أنظر: الحميري؛ مصدر سابق؛ ص 485–486)،

[6]– عذاب: مدينة مصرية على ضفة بحر الأحمر، كان لها شأن تاريخي كبير إبان الحروب الصليبية، وهي مرسى المراكب التي تأتي من مدينة عدن الأردنية الى إقليم الصعيد بمصر (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 4، ص 181).

من جده يوم 11 ربيع الآخر 579هـ قاصدا مكة فوصلها بعد ثلاثة أيام ودخلها من باب العمرة[1]، ثم انتقل الى المدينة لزيارة المسجد النبوي والتبرك به[2]

غير أنه لم يرجع من حيث أتى، بل رافق الركب الشامل لحجاج العراق وخرسان وكردستان والشام فسار الى العراق في 8 محرم 580 هـ بطريق القادسية[3] ثم نزل الى الكوفة وهي المدينة التي أمر ببنائها الخليفة عمر بن الخطاب بعد واقعة القادسية، ثم وصل ابن جبير الى المدائن. عاصمة الدولة الفارسية قبل الإسلام فوجدها خراباً، فدخل بغداد وأقام بها ثلاثة عشر يوما ثم تركها الى الموصل يوم الاثنين 10 صفر 580 هـ، ثم وصل تكريت[4] و هو البلد الذي ولد فيه صلاح الدين الأيوبي، بعدها نزل على "الموصل" وأقام بها أربعة أيام ... ثم رحل الى دمشق ، وأخيرا أزمع ابن جبير الرحيل عن دمشق بعد إقامة شهرين و زيادة، ليتجه الى مدن السواحل.[5]حيث وصل الى عكا في 10جمادى الآخر سنة 580 هـ وكانت في تلك الفترة أهم ثغور الدولة الصلبية، وقد شبهها ابن جبير في العظم بالقسطنطينية [6]، ثم علم أن مركباً فرنجياً على وشك الإبحار من مدينة صور [7] الى بجاية بتونس فذهب إليها يريد السفر، غير أنه استصغر المركب فرجع الى عكا بحرا واكترى هناك سفينة جنوية قصدها مسينة [8] بصقلية، فأبحرت به يوم الخميس

---

[1]– ابن جبير؛ الرحلة، ص 19، 40، 44، 52، 58.

[2]– نفس المصدر، ص 78.

[3]– القادسية: مدينة بالعراق وهي أول محطة لمن يخرج من الكوفة الى المدينة المنورة ومكة المكرمة، قيل سميت بهذا الاسم لان قوم من أصل قادس نزلوها فتحت سنة 16 للهجرة. (أنظر: الحميري؛ مصدر سابق، ص 448).

[4]– تكريت: مدينة عراقية معروفة من مدن شمال العراق على نهر الدجلة شمال مدينة سامراء وهي موطن مولد صلاح الدين الأيوبي (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 134).

[5]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 181، 184، 193، 206، 208.

[6]– نفس المصدر، ص 270.

[7] – صور: هي مدينة مشهورة تبعد حوالي 50 كلم شمال عكا، مشرفة على بحر المتوسط كانت من أهم ثغور المسلمين قبل أن يستولي عليها الصليبين. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 3، ص 433).

[8]– مسينة: هي مدينة علي ساحل جزيرة صقلية في شرقها، وهي أولي المحطات لدخول الجزيرة واحدي أهم قواعدها. (أنظر: الحميري؛ مصدر سابق، ص 560).

10 رجب واستغرقت مدة سفره الى مسينة شهرين وكان أقصاها في العادة خمسة عشر يوما، فأرست على الشاطئ الصقلي يوم 4 رمضان 580 هـ، ثم أقلع يوم الأثنين 21 ذي الحجة سنة 580 هـ الى الأندلس فوصل الى منزله بغرناطة في 2محرم 581 هـ.1184م[1]، وبتتبع مسار الرحلة وتعقبها زمنيا نجدها قد استغرقت حوالي ثلاث سنوات وبضعة أشهر.

أنظر: مخطط الرحلة(1)

ثالثا: المعلومات الواردة في الرحلة (محتوي الرحلة)

لما كان هدف الرحلة هو الحج فقد ألزمت ابن جبير أن يسلك طريقا واضحا، وهو الطريق الذي يسلكه الحجاج من الأندلس حيث عبر البحر المتوسط الى الإسكندرية، ثم النيل الى إقليم الحجاز، وأن هذه الرحلات كانت تسير بشكل قوافل مما لا يتيح لابن جبير أن يبتعد كثيرا عن هذا الطريق أو التخلف عنه لذا فإنه اقتصر على تدوين ما شاهدة خلال هذا الطريق أو قريبا منه.

رغم ذلك فإن ما ورد في هذه الرحلة من المعلومات التاريخية و الجغرافية كان ذا قمة كبيرة باعتبار أن ما ورد كان عن طريق جانب من جوانب الدراسة الميدانية وهي المشاهدة الشخصية و التدوين اليومي لهذه المشاهدة، و خصوصا أن ابن جبير كان متمكنا من حيث الثقافة و القدرة الفائقة في التدوين والكتابة، والتعبير دون أن يطيل أو يسهب في العرض[2]، و قد أشار بعض الباحثين الى أن القيمة التاريخية لرحلة أكثر من قيمتها الجغرافية، حيث قدمت معلومات عن الحقبة التاريخية خلال المدة التي أمضاها ابن جبير

[1]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 278، 284، 296، 317، 320.

[2]– فلاح شاكر أسود؛ **ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية**، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، مج 18، العدد، 4، ص 189.

متجولا بين بلدان المشرق خلال فترة الأيوبيين و الغزو الصليبي، وقدم صورة واضحة عن صلاح الدين الأيوبي وإنجازاته و إصلاحاته الدينية[1] والعمرانية وتوطيد دعائم العدل والاستقرار.

كما أشار الى ما كان عليه الأهالي المسلمين والصليبين من علاقة حسنة في خلال تلك الحروب في بلاد الشام[2]، كما لم يغفل ذكر أوضاع المسلمين في جزيرة صقلية أثناء حكم النورمان[3]، وعنى ابن جبير في رحلته بالنواحي الدينية فاهتم بذكر مشاعر ومناسك الحج بالتفصيل، ووصف الطريق بين هذه المناسك وعين المراحل الزمنية التي استغرقته في كل منها بأسلوب مسهب يدل على دقه ملاحظته وسعة علمه[4]، كما عنى بالمظاهر الجغرافية خاصة الجانب الطبيعي كالسطح والمناخ والموارد المائية فقد أشار إلى عواصف البحر ومخاطرها على الملاحة[5]، ووصف مجموعة من الجبال مر عليها في طريقه مثل جبل صقلية[6] وجبل المقلة شرق النيل[7]، أشار أيضا إلى مواضع الوديان والآبار والعيون والبرك والصهاريج المملوءة بمياه الأمطار وذلك لأهمية هذه الموارد لأنها تحدد المسالك والطرق التي تسلكها قوافل الحجاج والتجار والمسافرين.

ولم يغفل ابن جبير عن تصوير المظاهر البشرية من حيث النشاط الزراعي كانتشار البساتين والمحاصيل الزراعية على طول المسالك التي اتخذها في رحلته، كما أشار إلى نظام الري والقناطر التي توزع المياه في السواقي[8].

1- عوض؛ المرجع السابق، ص 289.

2- ابن جبير؛ الرحلة، ص 260، 275، 276.

3- نفس المصدر؛ ص 298-299.

4- نفس المصدر؛ ص 57-58، 82-98، 106-107.

5- نفس المصدر؛ ص 9، 239، 282، 289، 293.

6- نفس المصدر؛ ص 11.

7- نفس المصدر؛ ص 33.

8- نفس المصدر؛ ص 191.

كما تحمل الرحلة معلومات عن العلاقات التجارية بين المسلمين والمسيحيين، وأشار إلى العملات الجمركية والمكوس التي كانت سائدة عند دخول الموانئ[1] وكذلك عند الخروج من البلاد، وأورد أيضا معلومات عن أماكن المراكز التجارية والأسواق، مثل مدينة " قوص"[2] وذكر عن مدينة "عكا" بأنها ملتقى المسلمين والنصارى من جميع الأفاق[3].

هذا على غرار ذكره إلى السلع التجارية وطرق ووسائل النقل، أما عن المعادن والصناعة فلم ترد عن هذين الموردين سوى إشارات بسيطة شاهدها خلال طريقه المحدود والمرسوم للذهاب إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وأداء شعائر الحج والعمرة[4]، فمن المعادن أشار إلى مغاصات اللؤلؤ في البحر الأحمر[5]، أما الصناعة فقد أشار إلى صناعة كيس التمور في مكة المكرمة، وصناعة الثياب الكتانية المصنوعة من القطن والحرير ذات الألوان المختلفة والتي اشتهرت خاصة في إقليم الشام[6].

إضافة إلى ذلك أورد ابن جبير معلومات عن المستوطنات البشرية فقد أشار إلى كثافة الإستطان البشري في القرى الواقعة بين الإسكندرية والقاهرة على طول وادي النيل[7]. كما أشار الى كثافتها عندما أشرف على سهول العراق[8]، بينما أشار إلى اضمحلال هذا الإستطان في المناطق الصحراوية.

---

[1]– ابن جبير؛ الرحلة، ص 38.

[2]– نفس المصدر؛ ص 40.

[3]– نفس المصدر؛ ص 279.

[4]– نفس المصدر؛ ص 52.

[5]– نفس المصدر؛ ص 49

[6]– نفس المصدر؛ ص 60، 61.

[7]– نفس المصدر؛ ص 18، 19، 25، 26، 28، 29.

[8]– نفس المصدر؛ ص 276–278.

ونلاحظ مما سبق أن مذكرات ابن جبير لم تقتصر على الأحداث التاريخية وإنما تناول كثيرا من المظاهر الجغرافية ووصفاً مهما للأوضاع الاجتماعية والثقافية للبلدان التي مر بها، فرحلته هذه كتاب نفيس في بابه لا غني عنه للمؤرخين والجغرافيين، وكل من أراد الاطلاع على أحوال تلك الحقبة.

الفصل الثاني

"الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام من خلال رحلة ابن جبير "

ويتضمن أربع مباحث:

❖ الأوضاع السياسية في بلاد الشام اثناء رحلة ابن جبير

❖ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية

❖ الجوانب العمرانية والثقافية

❖ المغاربة في بلاد الشام

كانت الأحوال العامة لإقليم الشام في القرن السادس الهجري وخاصة السياسية منها، تحوي الكثر من الصراعات في عهد سلاطين الدولة النورية والصلاحية، نزاعات داخلية، وخارجية مع الصليبين كان لها بالغ الأثر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى على البنية العمرانية للمنطقة وهذا ما سنبرزه في هذا الفصل من خلال الإشارات التي وردت في رحلة ابن جبير مع الاستعانة بكتب التاريخ العام لتوضيح الحدث التاريخي أكثر.

المبحث الاول: الأوضاع السياسة في بلاد الشام أثناء رحلة ابن جبير

كانت صفة الحروب الصليبية هي الميزة للحياة السياسية في بلاد الشام في القرنين السادس و السابع الهجريين فقط بسط الفرنجة نفوذهم على معظم المدن الشامية الكبرى باستثناء دمشق وحلب[1]، فقد ظهر الجيش الصليبي أمام أسوار أنطاكية[2] سنة 491 هـ / 1098م وظل محاصراً لها حتى استولي عليها مؤسسا بها إمارة، ثم بسط نفوذه على الرها[3] وأسس بها إمارة ثانية سنة 491 هـ / 1098م ولم يقتصر الأمر على ذلك بل بدأت أطماع الصلبيين تتجه نحو بيت المقدس فسيطروا عليه و أسسوا إمارة ثالثة فيه 492هـ/1099م، وكانت الخاتمة بمدينة طرابلس التي ظل الجيش الصليبي محاصراً لها سنين عديدة حتى سقطت سنة 502 هـ /1109 م وأسس إمارة رابعة فيه.

---

[1]–حلب: مدينة من مدن الشام، وهي عظيمة واسعة كثيرة الخيرات وهي عامرة، تقع في وسط البلد وفيها قلعة حصينة واسعة شهيرة، معدومة الشبه و النظير في القلاع ولها سبعة أبواب، تقع حاليا في شمال سوريا وتعد من ثاني أهم مدن سوريا بعد دمشق العاصمة. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج2،ص 10).

[2]–أنطاكية: قصبة العواصم، من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وواسعة الخيرات تقع جنوب تركيا بينها وبين الحدود الدولية مع سوريا حوالي 30 كلم. (أنظر: نفس المصدر ،ج1،ص266–267).

[3]–الرها: مدينة تاريخية عريقة في جنوب تركيا شمال الحدود مع سوريا بحوالي 50 كلم، وتبعد عن مدينة ديار بكر بحوالي 150 كلم، سقطت الرها بيد الصليبيين سنة 492هـ/198 وحكمها من أمراء الحملة الصليبية الأولى "بلدوين" ،(أنظر : إرنست بكر؛ **الحروب الصليبية** ، جمع: السيد الباز العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ،ط2، د.ت، ص 34).

وكان الصليبيون يعيثون فسادا في كل مدينة يحتلونها، فعند دخولهم بيت المقدس بعد حصار دام أربعين يوما[1] اقتحموا المدينة من جهتها الشمالية ، فلاذ المسلمون ببيت المقدس لعلهم ينجون من القتل، وفتحت أبواب المدينة المقدسة فدخلت الجيوش دون تنظيم سنة 492 هـ ثم تعقب الصليبيون أهل المدينة الذين لاذوا بالمسجد الأقصى، فأغلق المجتمعون الأبواب خوفا منهم فأعطاهم الصليبيون الأمان ولما فتحوا لهم الباب نكثوا العهد وقتلوا أغلب من فيه، وقد وصف كثير من المؤرخين أحداث المذبحة، حيث يروي ابن الأثير في تاريخه قائلا: "**ملك الفرنج القدس نهار الجمعة سبع بقين من شعبان و ركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلد أسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داوود فاعتصموا به و قاتلو فيه ثلاثة أيام، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفا منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضوع الشريف** ..."[2]

وكان رد حكام البلاد سلبا من هذا الغزو الصليبي فلم يستطيعوا الوقوف في وجهه ولا سيما الفاطميون غير أننا لا نعدم بعض الوثبات الإسلامية في وجه الفرنجة فقد نازلهم أتابك[3] طغتكين حاكم دمشق في أكثر من موقعه وتمكن من التغلب عليهم إلا أن حروبه لم تتكن كلها مظفره، وقد توفي سنة 522هـ / 1128م "**فأبكى العيون وأتكا القلوب وفت في الأعضاد**"[4] و "**خلا الشام من جميع جهاته من**

---

[1]- حمزة بن أسد بن علي بن القلانسي؛ **ذيل تاريخ دمشق**، تحق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، سوريا،ط1 ،د ت ،ص 34.

[2]- ابن الأثير، مصدر سابق، ص19-20.

[3]- الأتابك: كلمة تركية مكونة من "أتى" وهو الأب و "بك" وهو الأمير وكان والأتابك يكلف من السلطان بالوصاية على واحد أو اكثر من أبنائه الذين لم يبلغوا سن الرشد، (أنظر: أحمد ابن العباس القلقشندي؛ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1914،ج4 ،ص18).

[4]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج 9 ،ص 247.

رجل يقوم نبصـــره أهله، فلطف الله بالمســـلمين، بولاية عماد الدين زنكي..."[1]، وتعد ولاية عماد الدين زنكي إيذانا بمرحلة جديدة من الصـــراع مع الغزاة فقد جعل أســـاس حركته ، تحقيق هدفين ســـاميين هما: توحيد المدن ولإمارات المحلية في الجزيرة الفراتية والموصـــل ، ومجابهة الصـــليبين اعتمادا على قاعدة عسـكرية وبشـرية واسـعة النطاق[2] ، إذ تمكن عماد الدين من خلال جهود مكثفة أن يوحد تدريجيا مناطق من البلاد الإسلامية وتطلع بعد ذلك الى استعادة دمشق، فحاصرها ثلاث مرات لكنه لم يتمكن من أخذها[3] ثم واصل عمليات التوحيد، ونازل الصليبين في عدد من الحصون والقلاع كحصن الأثارب[4] ، الذي تمكن من السـيطرة عليه، بالإضـافة الى شـن العديد من الغارات، وتمكن سـنة539هـ/ 1144م[5] ، من توجيه ضربة قاضية إليهم باسترداده لرها، منتزعا أولى إماراتهم في البلاد الإسلامية .

بعد ذلك قصد قلعة جعبر[6] سنة 541هـ / 1146م وحاصرها وبينما هو مقيم عليها قتل، فخسر المسلمون مجاهدا "**لا يرى المقام بل لا يزال طاعنا إما لرد عدو يقصده، وإما لقصد بلاد عدوه وإما لغزو الإفرنج وسد الثغور...**"[7]

وبعد وفاة عماد الدين ، خلفه ابنه نور الدين الزنكي الذي ســار على النهج الذي رســمه والده في تكوين جبهة إسلامية قوية تضاهي الصليبين وتخلص البلاد منهم، فقد ارتأى القائد المسلم أنه لا تستكمل قوة المسلمين لطرد الصليبيين إلا بتوحيد مصر والشام فيتجاذب القطران على العدو : مصر "بعسكر بره

---

[1]- ابن الأثير؛ مصدر سابق، ج9، ص 248.

[2]- شفيق الرقيب؛ **الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس هجري**، دار صفاء، عمان، الأردن، د.ط ،1973 ،ص13

[3]- ابن الأثير؛ مصدر سابق ، ج9، ص 398.

[4]- الأثارب: قلعة بين حلب وأنطاكيا، (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق،ج1,ص 213).

[5]- ابن الأثير؛ مصدر سابق، ج10، ص 98.

[6]- جعبر: قلعة على نهر الفورات بين بالس والرقة؛ (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 1، 313).

[7]- أبو شامة؛ مصدر سابق، ج 1، ص 156.

وبحره ، ونور الدين من جانب سهل الشام ووعره"[1] وكانت دمشق أهم المدن التي تطلع إليها نور الدين نظرا لتوسطها بين حلب والسواحل الشامية إضافة الى ضعف حكامها و تذبذبهم وطمع الغزاة في الاستيلاء عليها ، لذلك أرسل نور الدين إلى مصر حملات عديدة تمكن في الأخير من إسقاط الدولة الفاطمية وتوحيد مصر والشام في كيان عسكري واحد تحت قيادته[2]، وتابع الأخير عملياته العسكرية التي شنها ضد الصليبين، فبدأ يعمل على إمارة أنطاكية ، التي خاض فيها معارك مظفرة ثم توجه بعد ذلك إلى تحرير إمارة الرها ، ومنها إلى إمارة طرابلس سنة 543هـ / 1149م[3]، أما إمارة بيت المقدس استطاع أن يعقد هدنه مع ملكها لمدة سنة[4] إلا أن الصليبيين نقضوا العهدة فنهض نور الدين لتأديبهم سنة 552هـ/ 1157م ، وهزمهم وألحق بهم خسائر كبيرة.

تابعت جيوش نور الدين مسيرتها في مصارعة الصليبيين مستعيدة الكثير من القلاع والحصون، وفي سنة 369هـ / 1174م توفي نور الدين الزنكي فاضطربت بلاد الشام اضطرابا شديدا وخاصة أن ابن نور الدين الزنكي كان لا يزال صغيرا[5] فتطلع صلاح الدين الأيوبي الى ملكها ، فأرسل الى الخليفة العباسي رسالة يسأله فيها تقليدا جامعا بكل ما تشمل عليه بلاد نور الدين مبيناً أن المراد هو" **كل ما يقوي الدولة...ويجمع الأمة ، ويحفظ الألفة ...ويفتح بقية البلاد**"[6]، وبعد أن تسلم صلاح الدين ملك بلاد الشام تطلع الى شن بعض الهجمات العسكرية على عدد من المواقع الصليبية بهدف تدميرها ففي

---

[1]- أبو شامة، مصدر سابق، ج1 ص 197.

[2]- ابن الأثير؛ مصدر سابق ،ج9، ص 465.

[3]- ابن القلانسي؛ مصدر سابق، ص 516_517.

[4]- نفس المصدر، ص522.

[5]- بهاء الدين ابن شدادة ؛ **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحق: جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ،القاهرة، مصر، ط2 ،1994، ص 88.

[6]- أبو شامة، مصدر سابق،ج1، ص 622.

سنة 573هـ / 1177م هاجم القائد صلاح الدين الداروم[1]، وغزة وعسقلان[2]، ثم التقى الصليبيين في مربع العيون سنة 575هـ /1179م وهزمهم هناك وفي السنة نفسها هاجم حصن بيت الأحزان[3] واستطاع إعادته.

تابع صلاح الدين عمليات التحرير والتوحيد، فعقد العديد من المعاهدات مع إمراتي طرابلس وبيت المقدس التي كان لها أثر واضح في استكمال توحيد بلاد الشام.

فنازل الصليبيين في غير ما موقعة، واستهل عملياته العسكرية بالإغارة على الكرك[4] ثم أرسل إلى ابنه "الملك الأفضل" بأمره أن يرسل قطعة من الجيش الى "عكا" لتدميرها ففعل[5]، ثم جهز صلاح الدين جيوشه، وسار نحو طبرية [6]مما دفع الصليبيين لتجهيز جيوشهم استعدادا للقاء الجيوش الإسلامية فالتقى الجمعان في "موقعة حطين" وكسر الصليبيين كسرة عظيمة[7] وتمكن في مدة وجيزة من أن يحرر معظم البلاد الإسلامية وعلى رأسها بيت المقدس سنة 583هـ / 1187م.

---

[1]– الداروم: قلعة بعد مدينة غزة وهي أول محطة للقاصد الى مصر ،(أنظر: الحموي؛ مصدر سابق ، ج2، ص 387).

[2]– عسقلان: هي مدينة بالشام تقع شمال غزة على الساحل البحر المتوسط يقال لها عروس الشام،(أنظر : الحموي؛ مصدر سابق ج4، ص 122).

[3]– بيت الأحزان: حصن يقع على نهر الأردن ويطلق عليه اليوم حس بنات يعقوب (أنظر : نفس المصدر؛ ج2، ص 314).

[4]– الكرك: تعتبر إمارة الكرك حصنا هاما من الحصون الصليبية وخط الدفاع الأول الذي يحمي الصليبيين من الجهة الشرقية والجنوبية وكانت تتحكم في طريق القوافل، وكانت قلب المملكة الصليبية النابض (أنظر: محمود سعيد عمران؛ **تاريخ الحروب الصليبية 1090_1291م**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط.2000، ص128.

[5]– ابن الأثير؛ مصدر سابق ، ج10، ص128 .

[6]– طبرية: هي مدينة فلسطينية على الساحل البحر المتوسط مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل طور المطل عليها بينها وبين دمشق مدة ثلاثة أيام وكذلك بيت المقدس، (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق،ج4، ص17)،

[7]– آلاء سالم ابراهيم؛ **صورة المدينة في الشعر الشامي في القرنين السادس والسابع هجريين** ،رسالة مقدمة الى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة ماجستير، قسم الأداب ،جامعة مؤتى ،2011، ص17.

أدى تحرير بيت المقدس الى غضب الغزاة، فجهزوا حملة صليبية ثالثة أسفرت عن احتلال عكا من جديد سنة 588هـ / 1129م وتوقيع إتفاقية صلح بينهم مدتها ثلاث سنوات وثمانية أشهر، كان من أهم بنودها أن يبسط الفرنجة نفوذهم على المدن الساحلية من صور الى يافا والسماح لهم بزيارة بيت المقدس[1].

وفي سنة 589هـ / 1193م توفي صلاح الدين الأيوبي بعد سلسلة من الفتوحات الكبيرة ولكن الذي حصل أنه اشتعل بين أبنائه وذويه صراع على السلطة مما أتاح للفرنجة أن يحققوا مكاسب متنوعة كان أعظمها احتلال عكا من جديد وقد بقيت بأيدهم حتى سنة 642هـ / 1244م[2].

المبحث الثاني: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية

أ) -الجوانب الاقتصادية.

أورد الرحالة ابن جبير معلومات هامة وثرية عن الأوضاع الاقتصادية لبلاد الشام، فكشفت رحلته عن وجود ما يمكن وصفه برؤية اقتصادية لذلك العصر، وهذه الاشارات الهامة لم تأت بصورة عرضية وإنما جاءت مقصودة وثرية ومفصلة على نحو عكس الرؤية وعمقها.

إذ نجده يشير الى مظاهر النشاط الاقتصادي في عدد من المدن الشامية خاصة الواقعة تحت السيادة الإسلامية وعلى سبيل المثال أشار الى بعض الصناعات في مدينة دمشق منها صناعة الثياب وكذلك الصناعات النحاسية و ذكر موقعها بطول جدار الجامع للأموي القبلي[3] ، كما أن إشاراته للنشاط التجاري تعد أثرى وأكبر من ذلك أنه تناول الأسـواق في العديد من تلك المدن، حيث تعرض لأسـواق

1- ابن الأثير؛ مصدر سابق، ج 10، ص 218.

2- نفس المصدر؛ ص 223، 225.

3- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص238؛(أنظر: عوض؛ مرجع سابق، ص291).

دمشق و ذكر أنها أحفل أسواق بلاد الشام وأحسنها انتظاما[1]، أما حلب فهي عنده أسواقها واسعة و كبيرة ومنتظمة، وهي مسقوفة بالخشب بها جميع الصناعات المعدنية[2]. أما مدينة "حماة" فعبر عنها أنها أسواق المدينة العليا. فهي أفضل وأجمل من الدينة السفلى، وهي تشمل كافة الصناعات و أنواع السلع التجارية، وتمتاز بأنها منظمة و مرتبة ومقسـمة ونجده عند مدينة بزاغة، يقرر أنها ذات سـوق تجتمع فيه المرافعة الشعرية، وكذلك أنواع التجارة الموجودة في المناطق الحضرية [3]، وفي رؤيته الاقتصادية لتلك للأسواق التجارية نجده يفرق بين المزدهر منها و الكاسد على حد تعبيره، فإذا كان قد امتدح أسواق المدن السابقة ووصفها بصفة عامة على أنها مزدهرة، إلا أنه بالنسبة للأسواق حمص أوضح أنها تعاني من الكساد وذكر أنها بلا رونق[4].

والجدير بالملاحظة هنا أن ابن جبير لم يترك الأمور هكذا دون أن يشرح السبب ويقدم التفسير الحقيقي لذلك الأمر، فأوضح أن وجود أحد المعاقل الصليبية الكبرى وقصده هنا حصن الكرك على بعد عشرة أميال من المدينة، وهجوم العناصر الصليبية على تلك المدينة كل ذلك جعلها مدينة حدودية ثغريه تعاني من الكساد التجاري[5].

---

[1]– ابن جبير؛ الرحلة، ص261.(أنظر: صلاح الدين المنجد؛ **المشرق في نظر المغاربة والأندلسيون في القرون الوسطي**، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان، ط 1، 1963 ص36).

[2]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص227–228؛ (أنظر: محمود محمد الحويري؛ **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عصر الحروب الصليبية**، دار المعرفة، القاهرة، مصر د.ط،1989، ص130–131).

[3]– ابن جبير؛ الرحلة، ص 244.

[4]– نفس المصدر، ص232.

[5]– بتول كامل مزهر الياسري ؛ **الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الجغرافية، جامعة سانت كليمنس، إشراف: نزار كريم جواد، د.ت، ص167.

وما نستخلصه هنا أن أسواق حمص بالصورة التي أوردها الرحالة وبنفس التعليل الذي قدمه يكشف لنا حقيقة هامة، وهي أن مناطق الاحتكاك الحربي بين المسلمين والصليبيين كانت تعاني من عدم الانتعاش التجاري نظرا للاستمرارية لغة الحرب والصدام بين الجانبين على نحو هدد نشاط التجارة.

ومن جهة أخرى يشير ابن جبير الى ما يمكن وصفه بالمؤسسات التجارية، ومن ذلك تناوله للخانات[1] والقياسر[2] التي تختص بالتسويق والتخزين[3] ففي مدينة حلب ذكر أن هناك ربض كبير فيه مالا يحصى من الخانات ويقول أن هذه الأخيرة كانت بمثابة مكان لقضاء الأعمال التجارية[4].

ولم يكتف بتتبع أمر الخانات في حلب بل أنه تناولها كذلك في حمص إذ ذكر أن هناك "خان السلطان" الذي أقامه السلطان الناصر صلاح الأيوبي وقد وصفه بأنه في غاية الحسن، وله باب من حديد ومزود بالماء الجاري وفي وسطه سقاية تشبه الصهريج[5].

كما لا ننسى تعرضه لأحدى المنشآت التجارية الأخرى الهامة وهي القيساريات، وقد أورد أمرها في دمشق ووصفها بمثابة عمائر تجارية مسقوفة كانت في الغالب تحوي دكاكين تختص بسلعة تجارية

---

[1]– الخانات : عبارة عن مبنى كبير اشمل على مجموعة من الحوانيت، الكبيرة والصغيرة ومخازن البضائع ، وبوسطه فناء كبير على شكل رواق مغطى من أجل أن يحفظ التجار سلعهم ويجدوا مأوى لهم وقد عنيت الخانات بشكل خاص بعمليات التخزين وقد وجدت خانات كبيرة الحجم وأخرى صغيرة الحجم. (أنظر: عاصم محمد رزق؛ **معجم مصطلحات العمارة والفنون** الإسلامية، مكتبة مايولي، د.م.ن، ط1، 2000، ص91).

[2]– القيسارية: عبارة عن بناء كبير تتوزع فيه الحوانيت على الجانبين ولذا فهي تتخذ شكل السوق، وكلمة قيسارية هي تعريب للكلمة اللاتينية caesares حيث أن الرومان استعملوها كمستودع لبضائعهم (أنظر: المرجع نفسه، ص243).

[3]– آشور؛ **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لشرق الأوسط حتى العصور الوسطي**، تر: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة لنشر والتوزيع، د.ط، 1985، ص 305.

[4]– محمد سامي أحمد أمطير؛ **الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية 492هـ-583هـ/1099م-1187م**، مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح، إشراف: جمال محمد جودة، 2010، ص 127-128،

[5]– ابن جبير؛ مصدر سابق، 273.

معينة وعدة أنواع من البضائع، وكانت أبوابه تغلق ليلا، ويتم تعين الحراس لها[1] وهذا غالبا من أجل مواجهة عمليات السطو المحتملة، وكما سبق وذكرنا أنه اشار الى القياسر في مدينة دمشق وذكر أنها مرتفعة مثبتة حديدية الصنع، ومن عجائب صنعها وصف بأن أبوابها " كأبواب القصور"[2]

ونخلص مما سبق ذكره أن ابن جبير تناول المصطلحات الاقتصادية التجارية الهامة تختص بالتسويق والتخزين ، وكذلك الكساد التجاري بل وأكثر من ذلك أنه تناول أمر الإحتكار التجاري وفي هذا المجال الأخير إنفرد بإشارة هامة للغاية تعكس طبيعة ذلك العصر الذي شهد ما يمكن وصفه بالثورة التجارية إذ أن الحروب الصلبة أدت الى إثراء الصلات التجارية بين الشرق والغرب [3] بصورة لم تكن موجودة بمثل ذلك الشكل من قبل[4]، وبهذا وجدنا ابن جبير يشير الى ظاهرة الاحتكار التجاري وتركزه في عدد قليل للغاية من التجار، أصحاب رؤوس الأموال الكبار ، ومن أمثلة ذلك ذكره لأمر تاجرين هما "نصر بن قوام، وأبي الدر ياقوت مولى العاطفي"[5] وهما عنده على درجة كبيرة من الثراء والدليل على ظاهرة الاحتكار تلك أنه ذكر صراحةً " تجارتهما كلها بهذا الساحل الإفرنجي ولا ذكر فيه سواهما" كما أن القوافل التجارية صادرة أو واردة تحمل البضائع لحسابهم"، وكان من الطبيعي أن توجد عوامل تساعد على نمو ذلك الوضع.

وهي تتمثل في الثراء الكبير، وتوفر رأس المال للمشاركة به في العمليات التجارية الواسعة والتي يمكن وصفها بأنها تجارة دولية، بالإضافة الى توفر حماية عالية المستوى من أجل استمرار ذلك الوضع ،

---

[1]– ابن جبير ؛ الرحلة، ص 273.

[2]–ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص228.

[3]– محمود محمد الحويري ؛ مرجع سابق ، ص110-111-112.

[4]– عوض؛ مرجع سابق، 280.

[5]– ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص 280.

وهذا ما اعترف به ابن جبير نفســـه، في إقرار أن التاجرين المذكورين من " مياســـر التجار وكبائرهم وأغنيائهم المنعمين في الثراء"[1] وأن "قدرهما عند أمراء المســـلمين والإفرنجيين خطير"[2]، ويفهم من هذا أن قوة ذلك الدور الذي قام به هذان التاجران خاصـــة في احتكار التجارة، هو أن علاقتهما ليســـت قوية بالســـلطة الأيوبية القائمة فقط بل إنها أيضـــا قوية بالقوى الصـــليبية وهذا أمر منطقي تماما أن تكون صلاتهما ممتازة بطرفي النشاط التجاري من أجل توفير الأجواء المناسبة للاستمرارية ذلك الدور، وبديهي أن ذلك الدعم السلطوي جاء من خلال مصالح قائمة بين السلطة وأولئك التجار الذين أفادوا خزائن الدولة بأموال طائلة من عوائد المكوس المفروضة[3].

كذلك ألقى ابن جبير الضـــوء على جانب هام من جوانب العلاقات الســـلمية بين المســـلمين والصليبيين في بلاد الشام ونعني هنا التداخل في المعاملات التجارية[4] إذ أشار الى أن القوافل المسلمين تدخل مناطق؛ الصـــليبيين وقوافل الصـــليبيين تدخل مناطق المســـلمين ويتضـــح هذا من قوله: "**واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع النظير واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك، وتجار النصارى أيضا لا يمنع أحداً منهم ولا يعترض .... ولنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم.... وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم وللاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال وأهل الحرب مشغولون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب**"[5]

---

[1]- محمد سامي أمطير؛ مرجع سابق، ص 236.

[2]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص281.

[3]- نفسه.

[4]- محمد مصطفى زيادة؛ **رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة** ، مطبعة الحسبة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1939، ص 17 .

[5]- ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص259-260.

ويفهم من خلال ما سبق ذكره أن النشاط التجاري والرسوم الجمركية كانت المصدر الأساسي للموارد المالية الاقتصادية ويلاحظ أيضا أنه رغم استعار العداء بين المتحاربين لم يكن يستطيع أي طرف الاستغناء عن الآخر.

وهكذا ألقت يوميات ابن جبير في هذا الصدد الضوء الساطع، على أن العداء إتخذ شكلا حربيا وسياسيا بين المسلمين والصليبيين، غير أنه لم يتخذ البعد الاقتصادي ولم يستطع أي من الطرفين أن يقاطع الأخر تجاريا لأن ذلك يعني الانتحار الذاتي له قبل القضاء على خصمه[1] ولذا حق القول بأن حركة التجارة قد أولاها ابن جبير أهمية كبيرة وتفرد في وصفها وتحليلها على نحو مميز[2].

ب): الجوانب الاجتماعية.

إن المطلع على رحلة ابن جبير وخاصة قسم إقليم الشام الذي يعتبر من أثرى الأقاليم في مدونته يجده يحوي كافة الجوانب المتعلقة والمتصلة بتلك البلاد، فنكاد نعتقد أنه لم يترك شيئاً لم يتناوله أو لم يخصه بالذكر، فقد تناول في رحلته الحياة الاجتماعية المتصلة ببلاد الشام سواء في المناطق الصليبية أو الإسلامية ، فأول ما أبرزه ابن جبير في هذا الجانب هو الخارطة المذهبية والعقدية في حياة الشاميين

1- سعيد عبد الفتاح عاشور؛ **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص227-228.

2- بلال سالم الهروط؛ **صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية**، رسالة مقدمة استكمالا متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتى، إشراف فايز القيسي، 2008، ص19.

ومن ذلك تناوله المتصوفة[1]، كذلك تعرض الإسماعلية النزارية[2] ففيما يتصل بالمتصوفة أشار الى مكانتهم العالية في ذلك العصر الذي ازدهرت فيه تلك الظاهرة، واحتضنها الأيوبيون وعملوا علي إرضائهم ، وقد أشار الى قيامهم بجلسات السماع، والى أماكنهم مثل الربط أو الخوانق مع ملاحظة انه لا يفرق بين الإثنين بل يعتبرهم شيئا واحدا[3]. إما فيما يتصل بالإسماعلية النزارية، فنجد ابن جبير قد قدم لنا اشارات فريدة لا نجدها لدى مصدر أخر من مصادر الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، فقد تناول أمر النبوية ودورها في مواجهة العناصر الشيعية في بلاد الشام.[4]

وقد عرفها "**أنهم فرقة مسلطون ضد عناصر الرافضة وهو تعبير يطلق أيضا ليعني عناصر الشيعة المتطرفين، وأشار الى أنهم يأخذون بتقاليد الفروسية وأنهم يقتلون الروافض أينما وجدوا**"[5] ولم يكتف ابن جبير بذلك بل إنه عندما تحدث عن مدينة الباب[6] الواقعة بالقرب من بزاغة في شمال شرق حلب، وعند وادي بطنان، ذكر أمر هجوم عناصر النبوية ضد الإسماعلية هناك وحدد ذلك بأنه كان قبل ثماني أعوام من تاريخ رحلته[7] ولما كان ابن جبير قد قام بتلك الرحلة عام 578هـ / 1183م، فمعنى ذلك

---

[1]–الصوفية: اختلفت الآراء في تعريف معني الصوفية واشتقاقها، وفي رواية يقال: هم أهل الله الذين صفت قلوبهم، وفنوا أنفسهم وبقوا به، وفي رواية أخرى سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله همتهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه.(أنظر: عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب** ، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، ط1، 1993، ص249-248).

[2]–الإسماعيلية النزارية: الذين ينتمون الى نزار ابن المستنصر وتذكر المصادر الإسماعيلية أن نزار غادر الإسكندرية إثر حروب بينه وبين أخيه أبا القاسم أحمد، واتجه الي بلاد فارس واستقر هناك. (أنظر: عبد المنعم الحفني، نفس المرجع، ص45-46).

[3]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص257.

[4]– نفس المصدر؛ ص252. (أنظر: محمد مصطفى زيادة، مرجع سابق، ص16).

[5]– ابن جبير؛ الرحلة، ص252.

[6]–الباب: بلدة صغيرة في شمال إقليم الشام وبالتحديد في وادي يقع شمال شرق حلب. (أنظر: الحموي؛ المصدر السابق، ج1،ص244).

[7]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص224.

أنه يتحدث عن وقائع جرت عام 570هـ / 1175م وقد أوضح أنه تم وضع السيف فيهم وتم إفنائهم عن آخرهم وعندما مر المنطقة وجد جماجم القتلى موجودة هناك[1].

وبالإضافة الى ذلك نجد أن الرحالة أشار الى تحصن الإسماعلية في بلاد الشام بعدد من المعاقل وقد وصفها بأنها حصون للملاحدة الإسماعيليين، كما نجده تناول القيادة الإسماعلية في ذلك الجين والتي تمثلت في راشـد الدين بن سـليمان الذي تولى قيادة الإسـماعلية هناك لأمد بلغ ثلاثين عاما[2] (559 – 589هـ / 1193 – 1139م) وقد وصف ابن جبير قائد طائفة الإسماعلية راشدا هذا بأنه "شيطان من الإنس".[3]

وإضافة الى ما سبق نجده يصور أوضاع المسلمين الخاضعين للاحتلال الصليبي وفي ذلك أوضح أن المسلمين يؤدون للصليبيين نصف الغلة كما أن هناك جزية على كل رأس بالغ، تبلغ دينار وخمسة قراريط، كما أن هناك ضريبة على التجار، وباستثناء ذلك فإن مساكن المسلمين بأيديهم وجميع أموالهم متروكة لهم[4] ويقرر أن ذلك هو أسلوب الصليبيين في التعامل مع من في نطاق أملاكهم من مدن الساحل الشامي[5].

---

[1]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 225.

[2]– راشد بن سليمان: هو راشد الدين سنان بن سليمان محمد أبو الحسن البصري، مقدم الإسماعيلية النزارية بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، وصف أنه كان بعيد الهيبة عظيم المخاريق، تصفه المصادر السنية أنه أباح لأتباعه الحرمات توفي 589هـ/ 1193م . (أنظر: جمال الدين ابن المحاسن يوسف بن تغري البردي؛ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** تع : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1992، ج6، ص120).

[3]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص229. (أنظر: محمود محمد الحويري؛ مرجع سابق، ص35_36).

[4]– ابن جبير؛ الرحلة، ص275.

[5]– محمد مصطفى زيادة، مرجع سابق ، ص17.

وتجدر بنا للإشارة هنا أن الوضع السابق ينبغي ألا يجعلنا نتصور أن المشروع الصليبي نجح في أن يمزج المسلمين مع الصليبيين في نسيج واحد مشترك، إذ أن الصليبيون نظروا باستمرار نظرة شك وارتياب للمسلمين الخاضعين لهم، وكل ما في المسألة هو أمر احتياج إذ أن الغزاة لم يقدروا عن التخلي عن الخدمات التي يمكن أن يأديها السكان المحليون من المسلمين لاسيما في مجال الزراعة.

كما ينبغي ألا يتصور المرء أن الوضع الذي أشار إليه ابن جبير يتسم بالطابع العام الشامل لكافة المسلمين الخاضعين للسيطرة الصليبية فمن الأمور الجديرة بالملاحظة والتي أوردها الرحالة نفسه أنه أشار الى زاويتين هامتين أُخرتين هما وضع أسرى المسلمون الذين رآهم في مدينة عكا الصليبية وهم يرسفون في الأصفاء وخاصة النساء وفي "أسْؤقهن خلاخيل من حديد على حد قوله، وذكره أن الأسري المسلمين يوجهون للقيام بالأعمال الشاقة المجهدة، وعبر عن الحسرة الشديدة حيالهم حيث لا تنفع ولا تفيد[1].

أما الناحية الثانية التي تتضح من خلال رواية ابن جبير أننا نجده يشعر بالمرارة لوجوده داخل نطاق السيطرة الصليبية على الرغم من أنه مجرد زائر لمدة أيام قلائل، فما بالك بمن اضطر الى الإقامة المستمرة، وقد ذاق ذرعا بمظاهر الصلبان ووجود الخنازير وجميع المحرمات بحسب نص تعبيره[2]، ناهيك عن مظاهر الانحلال الخلقي داخل المجتمع الصليبي ذاته مما يدل عن اغتراب المسلم داخل الوجود الصليبي، وقدم نصيحة عامة لكل من يفكر في أن يشد الرحال الى هناك بقوله:" **فالحذر الحذر من دخول بلادهم**"[3]، وهكذا نستخلص من خلال إشارات ابن جبير الى أن تعامل الصليبيين تجاه المسلمين في ترك أملاكم بأيديهم سياسة تتسم بالمحدودية ولا يمكن تعميمها على كافة باقي المسلمين.

---

[1]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص280.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

وإضـافة الى ما سـبق ذكره نجد ابن جبير قد حرص على إيراد بعض الجوانب الخاصـة بالعادات والتقاليد الاجتماعية سـواء لدي المسـلمين أو الصـليبيين فمن ذلك تناوله لعادات أهل دمشـق في الاجتماع بصـحن المسـجد للأموي حيث قرر أنه متنزههم كل عشـية أين يمضـون وقتهم هناك رائحين غادين ومن كثرة إزدحام القوم في ذلك المكان أشـار الى أن المرء قد يتصـور "أنه ليلة السـابع والعشـرين من رمضـان" أي ليلة القدر على الأرجح[1]، أيضـا نجده يقدم لنا وصـف لمظاهر احتفالات العيد وإحياء ليال شـهر رمضـان فيقول أنه أثناء الشـهر الكريم كانت الشموع الضـخمة التي عرفت باسم " الشموع الموكبية" والتي قد تصل الواحدة منها الى قنطار وزنا تجر على عجلات ويحيط بها الأولاد ويطوفون بها في شوارع المدن وطرقاتها وهم في الطريق الى الصـلاة التراويح، وكذلك كان الأطفال يحملون فوانيسـهم الصـغيرة وهم يهزجون بأغنياتهم ويدقون أبواب المنازل في منطقتهم ليعطيهم الناس الحلوى، وأشـار الى أن موائد الناس ساعة للإفطار تحفل بوفرة للأطعمة والحلوى.[2]

ولم يكن الاحتفال بالعديد يختلف كثيرا عنه في أيامنا الحالية ففي أول أيام عيد الفطر يخرج الناس لصـلاة العيد وبعدها يتوجهون لزيارة القبور. وفي لنهار العيد تعم مظاهر الفرح حيث يجد الأطفال في نهارهم كثيرا من وسـائل التسـلية والمرح، أما عيد الاضـحى فيبدأ بالصـلاة وذبح الأضـحية ويفرق الناس الصدقات ثم يبدأ تزاورهم واحتفالهم بالعيد.[3]

ولفت انتباه ابن جبير تعظيم أهل الشـام للحجاج وخروج الناس لتلقى قوافل الحجيج مع الكرم الكبير الذي اتسـم به أهل الشـام في المدن والأرياف إذ كانوا يكرمون الغرباء[4] فقد روي لنا أن النسـاء

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص239.

[2]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص230. (أنظر: بلال سالم الهروط؛ مرجع سابق، ص103-104).

[3]- بلال سالم الهروط؛ نفس المرجع، ص104.

[4]- صلاح الدين المنجد؛ مرجع سابق، ص33.

يقدمن لهم الخبز فإذا ما قضـــــمه الحاج اختطفته وأكلته تبركا بأكل الحاج وما أكثر ماكن يصـــــافحنهم ويتمســحن بهم، كما أن أهل دمشـق يقفون يوم عرفات إثر صــلاة العصـر في الجوامع كاشـفي رؤوسـهم داعين ربهم التماسا لبركة هذه السـاعة الى أن يسـقط قرص الشـمس فينصـرفون باكين على ما حرموه من ذلك الموقف العظيم[1]،أيضا نجده يقدم لنا وصف لعادات الدمشقيين في الجنائز وفي هذا الجانب أشار الى أنهم يسـيرون في الجنائز بقراء يقومون بقراءة القرآن الكريم بأصـوات شـجية محزنة تؤثر في النفوس تأثيراً بالغا وتنهال على إثر ســماعها العبارات وتتم الصـــلاة على الجنائز في الجامع الأموي، كما قرر أنه من الممكن أن يجتمع الناس من أجل العزاء وذلك في البلاط الغربي من صحن المسجد[2].

ونسـتخلص من إشـاراته السـابقة أهمية المسـجد في حياة أهل دمشـق في ذلك العصـر وأنه يمثل قلب الحياة الدينية والاجتماعية، مثلما كان دوره دوما في حياة الجماعة المسلمة منذ فجر السلام، على أن ابن جبير إذا كان وجد ما أعجبه ووافق هواه في عادات أهل الشـــام فقد وجد أيضـــا ما لا عهد له به في الأندلس، فوصــف عادات جنائزهم واجتماعاتهم في المســاجد وأعيادهم ومآثمهم، إلا أنه لا يتوانى عن نقد بعض مظاهر السلوك التي يرى أنها غير سليمة أو التي لم تتفق وذوقه فقد، أخذ عليهم إكثارهم من الهزل والمزاح " **فالجد عندهم عنقاء المغرب**"[3] وأخذ عليهم أسـاليبهم في مخاطبة بعضـهم بعضـاً والعبارات التي يسـتخدمونها في ذلك مثل: "يا مولاي ، يا سـيدي ، جاء المملوك، أو الخادم برسـم الخدمة، فيسـتغرب هذا الإســراف في الخطاب ويجعله مؤشــرا الي افتقادهم اللياقة الاجتماعية وأن في مثل هاته التصــرفات عدم تقدير الناس حســـب منازلهم[4] فيقول :" **فقد تســـاوت الأذناب عندهم والرؤوس ولم يميز لديهم الرئيس**

1- ابن جبير؛ الرحلة، ص230.

2- نفس المصدر؛ ص 239.

3- نفس المصدر؛ ص278.(أنظر: صلاح الدين المنجد؛ مرجع سابق، ص38).

4- محمد نايف العماير، وشفيق الرقيب؛ **النزعة الإنتقادية في رحلة ابن جبير**، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، مج 37، العدد 53، 2010، ص 7،9.

والمرؤوس"[1]، كما لم يرضى عن بعض ما شاهده من عادات أهل الشام ذلك أنهم كانوا " يمشون وأيديهم الى الخلف قابضين بالواحدة على الأخرى ، ويركعون للسلام على تلك الحالة المشبهة بأحوال العناة (الأسرى)[2]، ولعل سبب هذا النقد أن ما رآه كان مخالف لعادات الأندلسيين، كما قد سخر ابن جبير من عمائم أهل دمشق وأنها تهوي بينهم في سلامهم هويا وهذا مرجعه أن أهل الأندلس لم يكون يضعون العمائم ويضح لنا هذا من خلال ما أورده الرحالة ابن سعيد حيث ذكر: "**وأما زي اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم ....وهذه الأوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الأندلس**[3].

ومن جهة أخرى حظي الجانب الاجتماعي لدى الصليبيين على اهتمام الرحالة، فوصف لنا عادات النصارى في أعيادهم ومظاهر احتفالهم فيها، فعلى ظهر مركب حمل ابن جبير والنصارى حجاج بيت المقدس يقول: "**وكان النصارى عيد مذكور عندهم احتفلوا له بإسراج الشمع وكاد لا يخلوا أحد منهم صغيرا أو كبيرا أو ذكرا أو أنثى من شمعة في يده وتذكيرهم بشرائع دينهم والمركب يزهوا كله اعلاه وأسفله سرجا متقده**"[4] ،وترك لنا أثناء زيارته لمدينة صور، صورة حية لحياة المرأة الإفرنجية وما وصلت الى اقتباسه من وسائل التجميل ومظاهر الترف في الملبس فقال:" **ومن مشاهدة زخارف الدنيا المحدث وهي في أبهى زي وأفخر لباس تسحب أذيال الحرير على الهيئة المعهودة من لباسهم**"[5] ويبدو من تحليل هذا المشهد أن تقليد الزفاف كان استمرار لما هو سائد في أوروبا حقيقة أنه من الواضح أن العرس الذي شهده ابن جبير في صور كان عرسا لقوم من الأثرياء على النحو ما يبدو من وصفه ومن العادات

---

[1]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص278-279.

[2]- ابن جبير؛ الرحلة، ص278.

[3]- المقري؛ مصدر سابق، ج1، ص222.

[4]- ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص287. (أنظر: بلال سالم الهروط؛ مرجع سابق، ص 97)

[5]- ابن جبير؛ نفس المصدر، ص278.

التي كانت سائدة بين الصليبيين في الأراضي المحتلة اختلاط الرجال والنساء[1] دون أن يكون لديهم أي إحساس بالغيرة نحو بناتهم وزوجاتهم ولا شك أن هذه العادة تتنافى مع العادات والتقاليد الإسلامية ، ولهذا فقد استنكرها المسلمون[2] حيث وصف لنا ظاهرة الاختلاط أثناء حضوره لحفل الزفاف للعروس الصبية في مدينة صور : "**إذ وقف الرجال والنساء في صفين عند باب العروس واخذت الآلات الموسيقية تعزف في حضرة العروس حتى خرجت من بيت أبيها بين رجلين أحدهما يمسكها من اليمين والآخر من الشمال**"[3] وأشار ابن جبير الى أن مختلف النصارى والمسلمون كانوا يشاهدون حفلة الزفاف ولا ينكرون ذلك بل على العكس كانوا ينظرون الى النساء المشاركات في الحفلة وهذا ما استنكره واستعاذ بالله من ذلك[4].

وبصفة عامة يعد إيراد ابن جبير لتلك المناسبة أمرا هاما زاد من إيجابيات رحلته، حيث تمثل تلك الحادثة جانبا يكاد يكون استثنائيا في وسط الكم الهائل من الأحداث الحربية والسياسة التي أوردها مؤرخون ذلك العصر سواء المسلمون أو الصليبيون.

المبحث الثالث: الجوانب العمرانية والثقافية

اعتمد ابن جبير في تأليف رحلته خاصة ما تصل ببلاد الشام على المشاهدة والملاحظة وكانت لديه قدرة ودقة كبيرة على ملاحظة كل ما تقع عليه عيناه وايراده، خاصة ما يجده جديدا أو غير مألوف.

---

[1]– محمود محمد الحويري؛ مرجع سابق، ص224.

[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور؛ مرجع سابق، ص 347.

[3]– ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص 278.

[4]– نفس المصدر؛ ص 278.

كما يحســـب له زيادة علي ما ذكرنا، أنه دخل مناطق الصـــليبيين وتناول العديد من الجوانب المعمارية كالمزارات الدينية، سواء للمسلمين أو المسيحيين والقلاع والحصون أو ما يسمي بالعمارة الحربية في ظلك ذلك العصر.

ففيما يتصـل بالسـاحل الشـامي نجد أن ابن جبير، قدم تناولا لعدد من المدن السـاحلية وبتفاصـيل هامة وهنا لم يعتمد في كتابة مدونته على طريقة الاختصـــار التي وجدناها عند من ســبقه من الجغرافيين لاسيما الإدريسي، فهو عندما تعرض لعكا قدم وصفها يفيض بالحيوية بين كلماته وقد أوضـح أنها "**قاعدة مدن الإفرنج بالشـــام**"[1] أي أنها بمثابة المركز الصــليبي في بلاد الشـــام ومن المعروف أنها كانت بمثابة القلب التجاري، وأشـار أنها مشـبهة في " **عظمتها بالقسـطنطينية** "[2]، ونتصـور أن هذا الوصـف الأخير يحوي مبالغة كبيرة وغير منطقية، خاصة إذا ما علمنا أن ابن جبير لم يشاهد القسطنطينية ذاتها ومع ذلك فإن مجرد مثل تلك العبارة تعكس ضـخامة شـأن تلك المدينة السـاحلية الشـامية –نعني عكا– خاصـة أنها كانت أشبه بمدينة عالمية يلتقي فيها التجار من كافة الأقطار.

وقد قدم لنا وصـفا للكثافة السـكانية المتزايدة بها فأشـار الى أن شـوارعها تغض بالزحام، وتضـيق فيها مواطئ الأقدام"[3]، وفي هذا التعبير الأدبي التصـــوير الحقيقي للكثافة الســكانية في تلك المدينة التي يلتقى فيها التجار من كافة أنحاء المعمورة حينذاك.

ويلاحظ أن ابن جبير قد أدرك الدور الصــــليبي الخطير في تغيير هوية المنطقة وتحويلها عن الإسلام، إذ انه بعد أن أشار الى خضوع عكا لسيطرة الصليبيين في "العشر الأول من السنة السادسة" [4]

---

[1] – ابن جبير؛ مصدر سابق، ص276. (أنظر: زكي حسن مرجع سابق، ص85).

[2] – ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 276.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه.

ومن المقرر بالطبع أنها سقطت في قبضتهم عام 498هـ / 1104م، ونجده يصف حال العمارة الدينية فيذكر أن مساجدها تحولت وصارت كنائس، وصوامعها صارت محل أحد النواقيس[1]،

وفي مثل هذا التعبير نجده يكشف بجلاء عن دور الصليبيين في تغيير هوية المنطقة الإسلامية ومحاولة تنصيرها من خلال القضاء على الدور الهام لأماكن العبادة الإسلامية في صورة المساجد، بل وصل الأمر أن صارت هناك بقعة صغيرة في مسجد عكا الجامع يجتمع فيه الغرباء من أجل اقامة الصلاة حسب رواية رحلتنا، إذ وصف لنا ابن جبير حقيقة السياسة التنصيرية التي أراد الصليبيون تنفيذها في منطقة المشرق، من أجل توسيع رقعة العالم المسيحية على حساب الإسلام والمسلمون[2]،

أما مدينة صور فان ابن جبير يقدم لنا أكبر وصف وصل إلينا من ذلك العصر عن حصانة تلك المدينة الواقعة على الساحل اللبناني، وتناول تلك المناعة من جهة البر وكذلك من ناحية البحر وتعرض لسلسة الكبيرة التي تعوق دخول السفن الغير مرغوب فيها "**ولا مجال للمراكب إلا عند ازالتها**" كما تناول "الحراس الذين يراقبون الدخول والخروج من والى المدينة "[3]

إضافة لما سبق فابن جبير لا يورد مدن الساحل الشامي فقط، بل أنه يعقد المقارنة بينهما على نحو عمق رؤيته لها ومن أمثلة ذلك، أنه عقد مقارنة بين صور وعكا، إذ يبدو حسب كتاباته أن المدينة الأولى ـصورـ قد كانت أقل في إشعاره بالاغتراب[4] فامتدحها إذا ما قورنت بعكا، فذكر أنها أنظف من

1– ابن جبير؛ الرحلة، ص 276.

2– بتول كامل مزهر الياسري؛ مرجع سابق، 164.

3– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص277–278.

4– نفس المصدر، ص 278.

الأخيرة، ووجه أهلها ألْيَن في طبائعهم ويميلون الى معاملة الغرباء بطريقة سـمحة أكثر من أهل عكا، أما عن أوضاع المسلمين فيها فيشير الى أنها اقل سوءاً من مدينة عكا.

وهنا نورد رأي المؤرخ محمد مؤنس عوض في أن عقد المقارنة بين المدن الشامية في ذلك العصر لم نجده لدى الرحالة المسـلمين بمثل تلك الصـورة التي نجدها لدى ابن جبير والصـفة الغالبة أنهم كانوا يوردون إشـارات عن كل مدينة دون عقد تلك المقارنات، ومن ثم تظهر لنا أهمية الرحلة في وصـف المدن[1]، وعن هذه الأخيرة نلاحظ أن ابن جبير لا يشـير في رحلته الى كل المدن التي كانت في قبضـة الصليبيين ولذا فمن الممكن أن نرى أن وصفه لعكا وصور يمكن أن يكون نموذجا لتعبيره عن تلك المدن ذات الموقع الاستراتيجي الهام.

وانطلاقا من الغاية التي سعى ابن جبير لتحقيقها –الحج–فإن لنا أن نتوقع ما يمكن أن يصدر من عالم فقه يولي المساجد وقبور الصحابة والأولياء عنايته الخاصة إذ أخذ يصف جامع دمشق ويتحدث عن أبوابه وحيطانه، وما عليها من نقوش وتصـاوير، كما يتحدث عن عمده وقبابه ومحاربه وما به من بديع البناء وغرائب الحلي[2] "ويجزم بأنه أشـهر جوامع الإسـلام حسـنا وإتقان بناء وغرابة صـنعه واحتفال تنميق وتزيين"[3]، وهو أول وصف يصل إلينا بعد حريقه العظيم سنة 461هـ الذي أذهب الكثير من بهاءه.

وفي هذا التعبير الذي خصـه ابن جبير بالجامع العريق في دمشـق، نسـتنتج أن السـلاجقة ونور الدين أعادوا اليه رونقه وتزويقه، كما يحس قارئ الرحلة أن صـاحبها معجب بجامع حلب ويصـفه وصـفا

[1]– عوض؛ مرجع سابق، ص290.

[2]– صلاح الدين المنجد؛ مرجع سابق، ص30–31

[3]– ابن جبير؛ الرحلة، ص235.

معماريا فقول" **وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها قد طاف بصحنه الواسع بلاط متسع مفتح كله أبوابا قصرية الحسن...الصحن عددها ينيف عن الخمسين بابا، فسيتوقف للإبصاره حسن منظرها....**"[1]

زيادة على ما سبق نجد رحلة ابن جبير قد عنت عناية خاصة بتتبع أهم مرافق بلاد الشام ونعني المدارس، وتجدر بنا الإشارة هنا الى أن ذلك العصر -السادس هجري-عرف على أنه عصر المدارس التي انتشرت في كافة أنحاء بلاد الشام، تماشيا مع انتشارها في العديد من أقاليم الشرق الأدنى كجزء من حركة تعلمية ثقافية ناهضة، وكتعبير عن حركة الاجتهاد السني التي كانت من خلال تلك المؤسسات التعلمية[2].

وفي ظاهرة انتشار المدارس في إقليم الشام نجد في نصوص رحلته يذكر تعدادها ومراكز انتشارها حيث وضح أن في مدينة دمشق نحو عشرين مدرسة، وفي هذا التعبير إشارة واضحة عن تفوق ظاهرة المدارس في حاضرة الشام الكبرى، ولقد لقيت المدرسة النورية التي أسسها نور الدين زنكي إعجاب ابن جبير، ووصفها بعبارات تعكس ذلك الاعجاب من ذلك قوله[3] بأنها: " **أحسن مدارس الدنيا**" كذلك وصفها بأنها: "**قصر من القصور الأنيقة**".

وإذا تتبعنا عرض ابن جبير لأعداد المدارس، نجده يتناقص بالتدريج بالنسبة للمدن الأخرى في إقليم الشام، إذ ما قارناها بدمشق، من ذلك أنه عدد في حلب الحاضرة الشمالية نحو خمس أو ست

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 288. (أنظر: خالد يوسف صالح؛ **حلب والموصل في العهد الأيوبي من خلال رحلة ابن جبير-** دراسة مقارنة في الجانب العمراني-، مجلة أبحاث كلية التربية السياسية، د. م. ن، المجلد8، العدد4، 2008، ص213-214).

[2]- صلاح الدين المنجد؛ مرجع سابق، ص32.

[3]- نفس المرجع، ص256.

مدارس[1]، أما بالنسبة لمدينة حماة فذكر أن بها ثلاث مدارس[2]، وحمص يتناقص العدد ليصل الى مدرسة واحدة[3]؛ وهذا التدرج في إعداد المدارس عكس دلالات هامة عن ذلك العصر.

فتفسير ذاك التناقص الملحوظ في أعداد المدارس بالمقارنة بما في مدينة دمشق يرجع ربما الى ظاهر النمو الحضاري والكثافة السكانية، إذ أن دمشق التي وجد فيها العدد الأكبر من المدارس زاد عمرانها وازداد سكانها بشكل واضح[4]، وذلك يفهم من خلال ملاحظة وصف رحلتنا، إذ أشار الى أن المرافق بها "أكثر من أن توصف"[5]، كما أنه عدّد في تلك المدينة "مائة حمام"[6] وفي أرباضها ونواحيها أربعين داراً من أجل الوضوء[7]، كما أشار الى أن أبنية المدينة تصل الى ثلاث طوابق[8]،

أما في يخص الناحية السكانية فقد ذكر بأنها "أكثر بلاد الدنيا خلقا"[9] وفي التعبير هذا دليل واضح على النمو الحضاري والعمراني لدمشق والكثافة السكانية المتزايدة بها[10].

وقد حرص ابن جبير على إيراد ناحية هامة أخرى، ونعني بها النهضة الطبية التي وجدت في بلاد الشام في ذلك العصر وتمثلت بصفة عامة في إقامة المارستانات[11]، في العديد من المدن الشامية

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 288.

[2]- نفس المصدر؛ ص231.

[3]- نفس المصدر؛ ص232.

[4]- عوض؛ مرجع سابق, ص300.

[5]- ابن جبير؛ الرحلة، ص256.

[6]- نفس المصدر؛ ص 261.

[7]- نفسه.

[8]- نفس المصدر؛ ص255.

[9]- نفسه.

[10]- عوض؛ مرجع سابق ، ص301.

[11]- المارستان: كلمة فارسية مكونة من مقطعين "بيمار" بمعنى مريض أو ضعيف أو مصاب و"ستان" بمعنى دار، ويقال ان أبقراط هو أول من أقام المارستانات، فقد خصص موضعا للمريض في بستان له وكان يخدمهم ويقوم بمداواتهم، وثمة من يذكر أن المارستانات الأولى أقامها الأطباء النسطوريون في مدينة جنديسابور بعد هروبهم من اضطهاد الرومان الشرقين

وفي هذا الشـــأن نجده قد ذكر وجود مارســـتان حديث البناء ، وقد قرر أنه اكبر وأكثر فخامة من القديم، ونجده يعرض لنا بين أسطر رحلته طريقة عمل وسير تلك المؤسسات الاستشفائية حيث ذكر أنه يتم تدوين ما يحتاجه المرضـــى من الأدوية والأغذية، وأن المعالجون يقومون بالذهاب الى المارســـتان في ســـاعة مبكرة من الصـــباح ويقومون بتفقد المرضـــي ويقررون لهم الأغذية والأدوية الخاصـــة بكل حالة مرضية[1] على النحو عكس مدى درجة التحضر العالية التي بلغها المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في ذلك العصر.

أما إذا اتجهنا الى حاضرة شمال الشام وهي حلب فنجد أن بها مارستان واحدا كما ورد في نص الرحلة[2]، وفي حماة لاحظ وجود مارستان على شاطئ نهر العاصي[3] وعن مدينة حمص فعندما سأل أحد الشيوخ عن وجود مارستان أجابه بأن حمص " كلها مارستانات"[4].

وبالإضافة الى كافة تلك العناصر السابقة نجد بأن ابن جبير قد أورد في رحلته عددا من المزارات الدينية والإسلامية و حتي المسيحية في بلاد الشام في عصر اشتهر بظاهرة التبرك بالقبور والأضرحة لذا نجده يذكر أن بغربي دمشـــق جبانة كبيرة خاصـــة بقبور الشـــهداء وفيها عدد وافر من القبور الصـــحابة والتابعين، ومن القبور المشهورة هناك التي ذكرها ابن جبير في نصوص رحلته "قبر أبى الدراء وأم الدراء[5] وقبر "فضالة بن عبيد، وسهل بن النظمية" وهما اللذان قاموا بمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم تحت

ويرى البعض أن المارستانات كانت ملحقة بالمعابد التي تمثل مكان الطب الإغريقي قبل الإسلام (أنظر: عاصم محمد رزق؛ مصدر سابق، ص41).

[1]– أحمد الإيبش قتيبة النباهي، **دمشق الشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمون**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 1998، ص334.

[2]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص228.

[3]– نفس المصدر، ص 231.

[4]– نفس المصدر، ص 232.

[5]– بتول كامل مزهر الياسري ؛ مرجع سابق ، ص 189.

الشــجرة[1]، وكذلك ذكر قبر "خالد بن الوليد" و قبر ابنه "عبد الرحمان" أيضـــا أورد ذكر قبر "عبد الله بن عمر"، وفي حلب نجده يقرر وجود مشـــهد الابراهيم الخليل وقد أشـــار الى أن الناس يقصـــدونه بالزيارة ويتكبرون بالصلاة هناك[2].

كما نجده عني بالجانب المســيحي وأورد المزارات الخاصـــة بالمســيحيين، ومن ذلك إشــارته الى كنيسة مريم الموجودة في دمشق وقد ذكر أمر مكانتها العالية في نفوسهم " **ليس بعد بيت المقدس عندهم أفضـل منها وهي حفيله البناء تتضـمن من التصـاوير أمرا عجبا** "[3] وفي هذا التعبير إيضــاح على تفوق عمارتها والصــور الموجودة بها، والناحية الهامة الأخرى التي أشــار إليها أنها بأيدي الروم وأضــاف " **ولا اعتراض عليهم**"[4]

وهكذا جاء هذا السطر الأخير يعبر عن بعض من التسامح الديني الذي عاشه المسيحيون تحت الحكم الإسلامي في مدن الشام، على الرغم من استعار العداء.

إلا أننا لاحظنا أن ابن جبير لم ترد في رحلته ما يشـير للأماكن المقدســة المســيحية في المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية، والتعليل الرئيسي الكامن وراء ذلك ربما أنه لم يدخل مدينة القدس أصلا[5].

زيادة على ما تم ذكره من قبل وإبراز المكونات العمرانية في مدن الشام –خاصة الدينية منه–أشار ابن جبير الى الجانب الحربي وما اتصـل بالقلاع والحصـون وقد مثلت المظهر البارز للعمارة الحربية في

1– ابن جبير ؛ الرحلة، ص251.

2– نفس المصدر ؛ ص226.

3– نفس المصدر ؛ ص 255.

4– نفسه.

5– عوض؛ مرجع سابق، ص303.

ذلك العصر. وقد تطرق الى ذلك الجانب لدى كل من الصليبيين والمسلمين[1]، حيث نجده ذكر أمر القلاع الصليبية إلا أنها كانت إشارات قليلة وموجزة منها، فذكر "حصن الأكراد" cracde cheraliers الذي كان الصليبيون يغيرون منه على المدن الإسلامية المجاورة مثل حماة وحمص، وكان على مسافة قريبة من هذه حيث قال أنه " بمرأى العين منها"[2]، كما تعرض لقلعة صليبية أخرى ونعني بها قلعة "تبنين toron" ووصفها بأنها حصن كبير من حصون الصليبيين[3]، وتعرض "لحصن الكرك krak de montrial" الواقع على طريق الحجاز وأشار الى منازلة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي له[4].

ومن جهة أخرى أشار ابن جبير الى عدد من القلاع والحصون الإسلامية من ذلك تعرضه "لقلعة دمشق" وأوضح أن السلطان يسكنها وحدد موقعها بأنها من مواجهة باب الفرنج[5]، وهو أحد أبواب المدينة. أما عن قلعة حلب فقد امتدحها من حيث ارتفاعها الشاهق وكذلك مناعتها، وذكر حصانتها التي تصعب وصفها، وأشار الى أن سورها الأعلى كله أبراج منتظمة كما أن بداخلها نجد المساكن السلطانية والمنازل الملوكية[6].

1- محمد مصطفى زيادة؛ مرجع سابق، ص16.
2- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص229. (أنظر: عوض؛ مرجع سابق، ص307).
3- ابن جبير؛ الرحلة، الموضع نفسه.
4- نفس المصدر؛ ص174.
5- ابن جبير؛ مصدر سابق؛ ص260. (أنظر: فؤاد قنديل؛ مرجع سابق، ص40).
6- ابن جبير؛ الرحلة، ص226.

كذلك نجده تطرق الى قلعة حماة ووصـــفها بأنها على ربوة كبرة مســـتديرة وتناول أمر حصـــانتها ومناعتها وتوفر المياه بها من أجل سقاية الجنود[1]، وفي حمص تناول قلعتها ووصفها بالمنيعة أيضا، وفي بزاغة ذكر قلعتها الكبيرة المنيعة[2]، ولم يقدم أية تفصيلات أخرى بشأنها.

ومهما يكن من أمر فإن رحلته في ربوع بلاد الشام قد قدمت لنا إشارات هامة ومتوازنة في الغالب عن قلاع الطرفين المتحاربين الإسلامي والصليبي مع ملاحظة أنها اقتصرت في الغالب على تناول أمر الحصانة والمناعة وتهديد الأعمال المجاورة وهذا ما يآخذ عليه.

المبحث الرابع: المغاربة في بلاد الشام

شكل أهل المغرب فئة كبيرة في بلاد الشام، خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي ونلاحظ أن رحالتنا الأندلسي قد حرص على أن يوضح أوضاع أولئك المغاربة الذين قدموا الى بلاد الشام وتركوا أوطانهم على الرغم من بعد المسافة.

وفي أول إشارة له عنهم، ذكر أنهم شاركوا في قضية الجهاد ضد الصلببين مع إخوانهم في بلاد الشام [3] وهذا من خلال عرضه لمعلومات قيمة عن نشاط المجاهدين المغاربة في الحروب الصليبية، فيشير مثلا الى الضريبة الإضافية التي فرضها الصليبيون على التجار المغاربة فقط دون سائر المسلمين[4]،والسبب في ذلك يرجع الى أن طائفة من أنجاد المغاربة حاربوا مع السلطان نور الدين زنكي، واستولوا على أحد الحصون الصليبية بعد أن أبدوْ شجاعة نادرة كانت مضربا للأمثال فجازاهم الإفرنج علي ذلك بأن فرضوا

---

[1]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص230. (أنظر: فؤاد قنديل؛ مرجع سابق، ص401).

[2]– ابن جبير؛ الرحلة، ص232.

[3]– ابن جبير؛ الرحلة، ص281.

[4]– نفس المصدر؛ ص273.

على كل تاجر مغربي بمستعمراتهم في الشام، دينارا إضافيا دوناً عن سائر تجار المسلمين كعقاب لهم على شجاعتهم[1].

كذلك يشير ابن جبير الى اهتمام ملوك المسلمين بفداء الأسرى المسلمين من الغاربة لبعدهم عن بلادهم خاصة السلطان نور الدين[2]، ومن المؤكد أن دور المغاربة في مساعدة إخوانهم في المشرق ضمن الغزو الصليبي يدل على أن قضية الجهاد ضد ذلك الغزو لم تكن قضية مشرقية فقط بل ومغاربية أيضا.

كما نجد أن ابن جبير تعرض لأوضاع المغاربة بصفة عامة في بلاد الشام، فيوضح عملهم في مجالات متعددة، فمن مظاهر عملهم أن يوجد أحد المغاربة حارساً على بستان، إذ اشتهر عنهم عملهم في حراسة البساتين والعمل فيها إذا ما أقفلت الأبواب في وجوههم في ميادين أخرى[3].

ولا نستبعد هنا أن يكون أهل المغرب هم الذين عملوا على زراعة واستثمار الأراضي والبساتين التي أوقفها لهم الملوك والسلاطين في مدينة دمشق خاصة؛ وأن المسؤول الأول عن إدارتها كان منهم. وقد ذكر ابن حبير أن هذه الأراضي مؤلفة من سبعة بساتين وأرض أخرى أيضاً غير مشجرة[4].

ومما ذكره ابن جبير أيضاً هو عملهم في حراسة طاحونة أو حمام، أو مطبخ، أو محفض القرآن الكريم للأطفال[5]،وقد أشار الى دافع عملهم في تلك المجالات أن ظروفهم العامة لم تكن تساعدهم لشغل مناصب على مستوى أرفع مردوداً من ذلك "**فالغريب المحتاج هنا ،إذا كان على طريقة الخير وصون محفوظ غير مريق ماء الوجه وسائر الغرباء ممن ليس على هذه الحالة ممن عهد الخدمة أو المهنة يسبب له أيضا أسباب غريبة من الخدمة، إما بستان يكون ناطورا فيها وحمام يكون عيناً عليه...الى غير ذلك من الوجوه الواسعة وليس يؤمن فيها كلها سوى المغاربة الغرباء لأنهم قد على لهم بهذا البلد صيت في الأمانة وصار لهم فيها ذكر**[6] ".

---

[1]– أحمد مختار العبادي؛ **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**، مقال منشور ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة الشهاب الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1،2010، ص85-86.

[2]–ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 282.

[3]– علي أحمد؛ **الأندلسيين والمغاربة في بلاد الشام**، دار فلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ج1 ص247-248.

[4]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص257.

[5]– نفس المصدر؛ ص 250.

[6]– نفس المصدر؛ ص250-251.

ومع أن هذا القول من جانب واحد، إلا أنه لا يصح تعميمه والجزم بأن أهل المغرب والأندلس الوافدين الى الشام كانوا كلهم حراس ونواطير وبساتانيين، غير ذلك نجده يدل على إقبال المغاربة واشتغالهم في هذا المجال؛ وفي نفس التعبير نجد بعض التناقض في كلامه حول تلك الأعمال إذ قد أنكر على هؤلاء الأعمال التي امتهنوها، إلا إننا نجده يحبب للمغاربة القدوم الى بلاد الشام والتعليل في ذلك ربما يعود الى اتساع الأرزاق فيها وحسن المعيشة[1].

والأمر الثاني الذي لفت ابن جبير وذكره لنا، هو حب أهل دمشق للمغاربة والامتيازات التي منحت لهم فيحدثنا عن الطلبة المغاربة الذين كانت لهم زاوية خاصة في الجامع الأموي، يتعلمون فيه وتجري عليهم الأموال[2]، وأن علماء المغاربة كانوا يستقبلون في المدارس ليعلموا، أو في المساجد ليؤمّوا، وأنه شاهد رجلا من بقية المرابطين كان أميناً لربوة–وهي ضاحية من ضواحي مدينة دمشق–له مكانة عند السلطان ووجوه الدولة فكان يأوي المغاربة من أهل بلده[3].

وذكر أن نور الدين عين للمغاربة الغرباء زاوية المالكية بالجامع ووقف عليها أوقافاً فقال" **وحدثني أحد المغاربة وهو أبي الحسن علي بن سردال الجياني أن هذا الوقف المغربي يغل في العام إذا كان النظر فيه جيداً خمسة مائة دينار** "[4] ووصف كيف يزاحم الناس للصلاة خلف المغاربة.

ويتجلى اهتمام الدمشقيين بالمغاربة أيضا من خلال حسن استضافتهم لهم وتأمين احتياجاتهم من مأوى ومسكن، فقد سكن المغاربة في منازل متفرقة في المدينة، وفي مختلف المؤسسات العلمية والدينية كالمساجد والمدارس والرباطات التي كانت مهيأة لاستقبال طلبة العلم والعلماء والفقراء والمحتاجين. [5]

---

[1]– علي أحمد؛ مرجع سابق، ص49.

[2]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص274.

[3]– صلاح المنجد؛ مرجع سابق، ص33–44.

[4]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص274.

[5]– نها ملاعب؛ **نحو مقاربة لمسألة اندماج المغاربة في المجتمع الدمشقي في العصور الوسطى**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسم التاريخ؛ جامعة معسكر، الجزائر، العدد 5، 2011، ص224–225.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول بأن ابن جبير يمتلك قدرا كبيرا من الموضوعية ولا يتصف بالنظرة الأحادية أو من زاوية واحدة، وما يدل على ذلك أنه لا يكيل الثناء أو المديح لعناصر المغربة بصفة مستمرة بل إنه يذكر الإيجابيات والسلبيات وذلك بالرغم أنه قدم أصلا من المغرب الإسلامي[1].

ومن السلبيات التي ذكرها ابن جبير وأثارت حفيظته، أنه أشار لأحد المغاربة من ضعاف الإيمان على حد تعبيره ارتد عن الإسلام واتجه الى اعتناق المسيحية وقد ذكر أنه من "يونة" من أعمال بجاية وبحث عن تعليل ذلك فوجد بأنه كان أسيراً وتم افتداءه على يد أحد التجار المسلمين، ثم ذهب الى عكا في إحدى القوافل التجارية وقد صاحب الصلبيين وتخلق بأخلاقهم، ووصل به الأمر الى أن ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية[2].

وهنا نجد أن رواية ابن جبير السباقة تاريخيا إذ وصلت إلينا في عصر انشغل فيه المؤرخون المعاصرون بتسجيل المعارك الحربية والتصارعات السياسية عن ذكر مثل تلك الحوادث.

---

[1]- مؤنس عوض؛ مرجع سابق، ص295-296

[2]- ابن جبير ؛ مصدر سابق، ص281.

الفصل الثالث

" الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في صقلية من خلال رحلة ابن جبير"

ويتضمن ثلاث مباحث:

- أوضاع صقلية أثناء رحلة ابن جبير
- الجوانب الاقتصادية والاجتماعية
- حياة الجالية المسلمة في الساحة الاجتماعية والسياسية

المبحث الأول: أوضاع صقلية السياسية أثناء رحلة ابن جبير

مرت صقلية الإسلامية في منتصف القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي بفترة من الفتن والمنازعات الداخلية، فقد كانت الدولة الفاطمية التي تتبعها الجزيرة تمر في مرحلة ضعف شديد ، كما أن أمراء بن زيري في إفريقية انشغلوا بحروبهم ضد أبناء عمومتهم بني حماد في القلعة وبجاية وضد قبائل بنو هلال وبنو سليم[1]، لذلك ونتيجة للانقسامات الداخلية فإن صقلية وقعت فريسة سهلة في أيدي المغيرين النورمان[2] من جنوب ايطاليا ، إذ وجه "رجار" كل اهتمامه إلى صقلية، خاصة بعد أن استنجد به أحد القادة المسلمين- "ابن الثمنه صاحب سراقوسة"[3] - فاستولوا على مسينة إلا أن انتزاع السيادة على الجزيرة من أيدي المسلمين لم يكن بالأمر الهين، فقد صمدت العديد من المعاقل والمدن الإسلامية في وجههم، نحو ثلاثين عاما إلى أن تم للنورمان آخر الأمر فرض سيادتهم على الجزيرة عام 484هـ /1091.[4]

وما تذكره المصادر أن سنوات حكم "رجار الأول" تميزت بالتسامح الديني ولم تحدث ثورات داخلية ضده، وأنه قد رفض ضغوط الكنيسة الكاثوليكية عليه، لتنصير المسلمين وهذا ليس حبا في الإسلام والمسلمين بل لأسباب تتعلق بكيان دولته الفتية وأمنها فقد كان المسلمون يشكلون أكثرية السكان في الجزيرة، كما كان العنصر الإسلامي بارزا في جيشه[5].

---

[1]- أحمد توفيق الطيبي؛ **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، دار العرب للكتاب، تونس، د. ط، 1984، ص 42-43.

[2]- النورمان: أصلهم من شمال أوروبا -اسكندناوا-وخاصة السويد والنرويج والذين استقروا منذ سنة 299هـ/911م بفرنسا واشتقت اسم نورمانديا منهم وهي البلاد التي استقروا بها ونبذوا الوثنية واعتنقوا المسيحية، ومعنى اسمهم رجال الشمال أي أنهم جاؤوا من أقصى أوروبا الشمالية (أنظر: عزيز أحمد؛ **تاريخ صقلية الإسلامية**، تع: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د.م.ن، د. ط، 1980، ص 62).

[3]- سَراقُوسة: هي أكبر مدينة بجزيرة صقلية، تقع في الساحل الجنوبي الشرقي لها (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 3، ص214).

[4]- عزيز أحمد؛ مرجع سابق، ص 62 -63.

[5]- الطيبي؛ مرجع سابق، ص 76-77.

وقد سار على نهجه وسياسته ابنه "رجار الثاني" في الاعتماد على العناصر المسلمة في مواجهة أعدائه حيث قيل عنه: "**إن رجار أكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه**"[1].

كما هو معلوم أن فترة القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي كانت فترة اندلاع الحروب الصليبية في المشرق، وكذلك فترة ظهور الدولة الموحدية في المغرب والأندلس[2]، وهنا ليس من الغريب أن نجد أن العامل الديني ذا أثر كبير في أوضاع المسلمين في صقلية الذين شعروا بالانقطاع عن دار الإسلام و بأنهم رهائن تحت رحمة النصارى، فهذا ابن الأثير ينقل لنا ما قاله صاحب صقلية "وليام (غليام) الأول" في الوقت الذي استولى فيه السلطان الموحدي" عبد المؤمن بن علي" على المهدية 555هـ/1160: "**إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم**"[3].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحال الذي آل إليه سكان صقلية من المسلمين الذين أصبحوا كرهائن في يد الملك النصراني يتصرف حسبما تمليه عليه الظروف وعلاقاته بالدول الإسلامية خارج صقلية[4]، ويؤكد أيضا ان سياسة التسامح الديني ماهي إلا استراتيجية من أجل النهوض بالدولة الفتية.

ومما يذكر أن "رجار الثاني" في أواخر أيامه تبنى حركة التنصير بين المسلمين واليهود ويعود سبب هذا التغير كما أشرنا سابقا لظهور دولة الموحدين كقوة كبيرة في المغرب الإسلامي مما هدد مواقع النورمان على السواحل، لا بل وجودهم في صقلية ذاتها[5].

وبعد أن آل حكم صقلية بعد رجار الأول وابنه رجار الثاني الي "وليام الأول"("548هـ/1151م – 563هـ/1166م)انتهج هو الآخر نفس سياسة سابقيه في التسامح مع المسلمين وهم ظلوا بنفسهم

---

[1]- ميخائيل أماري؛ **المكتبة الصقلية العربية (نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع)**، دار صادر بيروت، لبنان، لبنان، د. ط، 1958، ص 278.

[2]- الطيبي؛ مرجع سابق، ص 49.

[3]- أماري؛ مرجع سابق، ص 308.

[4]- عزيز أحمد؛ مرجع سابق، ص 65.

[5]- نفس المرجع؛ ص 71.

مخلصين له بما أنه كان حاميهم الوحيد في جو مشحون بالعداء، إلا أنهم قد دفعوا ثمن انتصار الموحدين على النورمان في المهدية سنة (555هـ–1160م) وإخراجهم من سواحل إفريقية[1]، هذا ما جعل المسلمين لقمة سائغة في يد النورمانيين، إذ خشوا من تواطئ مسلمي صقلية معهم لإعادة السيادة الإسلامية على الجزيرة.

إلا أن الوضع السياسي العام، قد تحسن بشكل ملحوظ مع بداية حكم الملك وليام (غليام الثاني) واستكانت الأوضاع والنفوس في عهده وساد في فترة حكمه الهدوء والاستقرار، غير أن هذا لا ينفي أنه انتهج سياسة عدائية مع المسلمين في بعض الأحيان، إذ تصفه بأنه كان محبوبا من رعياه النصارى ولذلك أطلقوا عليه لقب "**الطيب**" ولعل حبهم ورضاهم هذا يرجع إلى نشاطاته في محاربة المسلمين في المغرب والمشرق، فيذكر أنه جهز حملات عبر البحر المتوسط، بدافع ديني في المقام الأول، وكذلك من أجل حماية تجارة صقلية الخارجية، ولتأمين المواصلات البحرية بين أوروبا والأراضي المقدسة أثناء الحملات الصليبية[2]. فقد كان "وليام الثاني" من بين أول من حمل الصليب من ملوك أوروبا في بداية الحملة الصليبية الثالثة 585هـ/1188–588هـ/1191مالتي قامت إثر انتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي في معركة "حطين" واسترداده لبيت المقدس من أيدي الصليبيين، وتجدر الإشارة هنا أن "وليام الثاني" لم يشارك شخصيا في الحملة الثالثة إلا أن أسطوله لعب دورا هاما في العمليات الحربية[3].

استمر ويليام في سياسة التسامح داخل صقلية، وأولى اهتماما كبيرا للعلوم والمعارف العربية وخاصة في مجال الطب والفلك، وقد كانت فترة حكمه فترة هدوء وسلام في الداخل وهذا بحسب نص ابن جبير في رحلته الذي زار صقلية في طريق عودته الي الأندلس سنة (580هـ/1185م)[4]

إلا أن الوضع في الجزيرة أصبح حرجا للغاية في الفترة التي عقبت وفاة "وليام الثاني" أي بعد خمس سنوات فقط من مرور ابن جبير بالجزيرة، بسبب التحالفات الخارجية، إذ زحف الإمبراطور الألماني

[1] – الطيبي؛ مرجع سابق، ص 53.

[2] – ابن جبير؛ الرحلة، ص 299.

[3] – أحمد توفيق مدني؛ **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، مكتبة الاستقامة، تونس، د. ط، د. ت، ص197.

[4] – ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 289.

"هنري السادس" جنوبا واستولى على مملكة صقلية منهيا بذلك الفصل النورماني من تاريخ الجزيرة591هـ/ 1194م[1].

المبحث الثاني: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية

أ-الاجتماعية.

كان المسلمون في جزيرة صقلية النورمانية يشكلون الأغلبية الكبرى من السكان ولهذا ساد التأثير العربي أكثر من التأثير البيزنطي في تنظيم البلاط النورماني وفي ألقابه ومناصـــبه وعاداته ومراســـيمه، وبمعني أوضـح في الحياة الاجتماعية بصـفة عامة، ويتضـح هذا بصـورة جلية في اتخاذ ملوك النورمانيين ألقابا عربية، فالملك "رجار الثاني" سمى نفسه "**المعتز بالله**"، وحمل "وليام الأول" لقب "**الهادي بأمر الله**" [2] وحمل "وليام الثاني" هو الآخر لقب "**المستغفر بالله**" وقد ظهرت هذه الألقاب بسكتهم ونقوشـهم، وصـدرت الوثائق والمراســـيم باللغات اللاتينية واليونانية والعربية، وكانت تحمل علامة بالعربية وهي عبارة عن آية قرآنية كريمة "**الحمد لله حق حمده**" و"**الحمد لله شكرا لأنعمه**"[3].

ومما يظهر تأثرهم بالصـبغة الإسـلامية التي امتدت إلى كثير من النواحي الاجتماعية في الجزيرة أن السلاطين النورمان كانوا يتشبهون بالملوك المسلمين، فقد كانت ملابسهم ذات طابع شرقي طرزت على حاشيتها بكتابة كوفية وصورة فهود تهاجم جمالا، كما كان لهم حريم وفتيان في القصـور تذكر المرء بحياة القصور في الأندلس[4]، ويتجلى لنا ذلك في قول ابن جبير: "**وأما جواريه وحظياه في قصره مسلمات كلهن وأن الإفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة...**"[5]

وقد اســتمر تأثير العرب بشــكل قوي في حياة البلاط النورماني إلى غاية عهد " وليام الثاني"، إذ تحدثت المصــادر الإســلامية بأنه كان مســلما ظاهريا أكثر ممن ســبقه وأنه كان يتحدث العربية بطلاقة

---

[1] – الطيبي؛ مرجع سابق، ص 70-71.

[2]– نفس المرجع؛ ص 37. وهذه الأية ليست مذكورة في القرآن الكريم، ربما ابن جبير أوردها فقط في معني آيه مشابهة لها، وربما هذه الآية مذكورة في الإنجيل إلا أننا لم نطلع على كتاب النصارى.

[3]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 298.

[4]– إحسان عباس؛ **العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب**، دار الثقافة، د. م. ن، ط1، 1979، ص144-145

[5]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 207.

كبيرة، وكان يحيط به حرسا من الفرسان النورمان فضلا عن حرسه السود تحت إمرة أحد المسلمين، كما كان يرعى الأطباء والمنجمين وكان بعضهم من المسلمين[1]، إلا أن هذا لم يمنع ابن جبير أن يدعو المولى عز وجل أن يعيذ المسلمين من الفتنة بمنة مع أنه كذلك يمتدح "وليام الثاني" لاستفادته من خبرات المسلمين.

وامتد هذا التأثير حتى في خارج القصر أين وصف لنا رحالتنا كثيرا من العادات والتقاليد فيقول في زي النصرانيات في إحدى مدن الجزيرة الصقلية: "**فزي النصرانيات في هذه المدينة زي النساء المسلمات فصيحات الألسن، ملتحفات، منقبات، خرجن في هذا العيد المذكور (عيد ميلاد المسيح) وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللحف الرائعة وإنتقبن بالنقب الملونة.... حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر**"[2]، وفي هذا التعبير الموجز إيضاح بالغ عن تأثير الصبغة الإسلامية علي حياة صقلية النورمانية.

ومن جهة أخرى أشار ابن جبير إلى تأثير العنصر النصراني النورماني في مختلف الجوانب على حياة المسلمين في صقلية، وهذا الأمر بديهي بما أنه كان هناك احتكاك وتعايش ضمن مملكة واحدة على عكس إقليم الشام الذي كان فيه الاحتكاك مع النصارى فقط في مجال التجارة، وعن مظاهر التأثير النورماني على مسلمي صقلية عبر ابن جبير عن مدى تحسره لضياع مراكز عبادات المسلمين فقال: " **لم يكن يهون على الناس أن يروا مراكز عبادتهم قد تحولت إلى مكان لعبادة قوم آخرين**"[3]، وهنا يشير الى التأثير السلبي لذلك التغيير على الأهالي المسلمة حيث يعتبرها أولى الخطوات نحو تنصير المجتمع، كذلك يوضح ذاك التأثير السلبي في ظاهرة الاختلاط خاصة فيما تعلق بالاحتفالات العامة والتظاهرات الدينية الصاخبة[4].

ولعل أدق ما أطلعنا عليه ابن جبير في هذا الصدد، أحوال الاسرة المسلمة في صقلية حيث أظهر لنا مدي تقهقر الرابط الأسري ومدي تأثير المجتمع والدين النصراني في زيادة الفتنة وانحلال هذا الرابط ويتجلى لنا هذا بصورة واضحة في قوله: " **ومن أعظم ما مني به أهل هذه الجزيرة، أن الرجل**

---

[1]- عزيز أحمد؛ مرجع سابق، ص 75.

[2]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 207.

[3]- إحسان عباس؛ مرجع سابق، ص 151.

[4]- ابن جبير؛ المصدر السابق، ص 310.

ربما غضب على ابنه أو على زوجه أو تغضب المرأة على ابنها فتلحق المغضوب عليه آنفة تؤديه الي التطارح في الكنيسة فيتنصر ويتعمد..." وبسبب اتخاذ مفارقة الدين سلاحا يشهره الولد في وجه أبيه والزوجة في وجه زوجها، فلا عجب ان نرى الوالد يخاف هذا الحال ويعرض تزويج ابنته لأحد الحجاج رغبة منه أن يجنبها فتنة اختلاف الدين على حسب رواية ابن جبير[1].

ومما لفت أنظار ابن جبير في العصر النورماني خاصة من الناحية الثقافية. تساوي الكتاب والمسجد في تحقيق الدراسات، أين أصبح القصر أو الأمير على حد تعبيره هو الكعبة الكبرى التي تحوم حولها العلوم والآداب، أما بيوت العبادة فقد قل شأنها[2]، ومما يفهم من خلال نصوص الرحلة أن المساجد التي كانت عامرة بألوان الدراسات الدينية فيما سبق ونعني هنا في ظل الحكم الإسلامي قد تضاءل أمام الدراسات العلمية الأخرى في عصر النورمان وأصبحت القصور هي التي تدير حلقات العلم، وأضحت المساجد محاضر لمعلمي القرآن فقط[3]. وكانت الحياة العلمية قائمة على عدة لغات، كما أن "وليام الثاني" قد اهتم اهتماما كبيراً بالأمور العلمية والفلسفية وتفسير طبائع الأشياء

ب-الجوانب الاقتصادية.

ومن الناحية الاقتصادية كان الفتح النورماني ذا أثر سيء على أوضاع المسلمين الاقتصادية و المستوي المعيشي في صقلية [4]، ففي أثناء القتال دمرت القرى على نطاق واسع، وكان على المسلمين دفع إتاوة أو جزية مرتين في العام، مما أدى إلى هجرة أعداد منهم إلى أفريقية وبدخول النورمان إلى الجزيرة بصفة كاملة، دخلها معهم النظام الإقطاعي، إذ أقطع "رجار" أقرباءه وأصحابه أراضي واسعة كانت للمسلمين واتخذ هؤلاء المقطوعون المسلمون في الأرياف عبيد أو أقناناً في أراضيهم، أما أهل المدن فقد كانوا أحس حالا نسبياً إذ كانت تسلم مدنهم، كما حدث في "بلرم" (باليرمو) بموجب اتفاقيات حفظت لهم ولو إلى حين حقوقهم المدنية والدينية علي عكس أهل الضياع والقرى فقد خسروا معظم أراضيهم لحساب النورمان وأصبح الكثيرون منهم عبيد أرض للسادة الجدد[5].ويتأكد لنا هذا الوضع الاقتصادي بقول ابن

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص315.

[2]- احسان عباس؛ مرجع سابق، ص 157-158.

[3]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 306.

[4]- الطيبي؛ مرجع سابق، ص 47.

[5]- نواف عبد العزيز الجحمة؛ **أوضاع المسلمين في صقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير**، مقال منشور ضمن كتاب العرب بعيون غربية، وزارة الإعلام مجلة العربي، ط1، 2005، ص 181-182.

الأثير : "**وملك رجار جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لأحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونة ولا فرنا...**"[1].

وما يوضح أكثر الوضع الاقتصادي في الجزيرة قول ابن جبير "**وضربوا عليهم إتاوة في فصلين من العام يؤدونها، وحالوا بينهم وبين سيعة الأرض التي كانوا يجدونها....**"[2]، وهنا إشارة تجسد وضعية المسلمين في هذه المناطق والتضييق الكامل للممتلكات من الأراضي التي آلت ملكيتها تبعا إلى الكنيسة ورجال الدين والنبلاء والإقطاعيين والمزارعين النصارى[3].

وفي مجال التنظيم الاقتصادي يشير ابن جبير إلى اعتمادهم على نظام الدواوين التي بقيت من أيام المسلمين وطورت لتفي بمتطلباتهم منها "ديوان المعمورة" أي بيت المال والخزانة وهو متفرع عن "ديوان التحقيق" وكان يحفظ في هذا الديوان بأسماء أهل رجال الجرائد –عبيد الأرض–وأيضا للإيراد المستحق لكل إقليم مالي، أما "ديوان الفوائد" فكان يختص ببيع الأراضي.

وكان ديوان التحقيق في جملته مسؤولا عن الإدارة المالية كلها في المملكة الصقلية النورمانية، فكان يراقب مراكز الخزانة ويحتفظ بسجلات كل ما يتعلق بأقاليم المملكة المختلفة، وتجدر الإشارة هنا أن هذه السجلات تكتب باللغة العربية[4].

ومما يذكر أيضا ان هناك عدة وثائق تعرف باسم الدفاتر وهي باللغة العربية عبارة عن سجلات للأراضي المزروعة والأراضي غير القابلة للزراعة، تحوي قوائم بأسماء رجال الدين مع ذكر التفاصيل الخاصة بنوع الخدمات التي عليهم أداءها، وهذه الوثائق يرجع بعضها الي حكم وليام الثاني، ومنها ما كتب بالعربية وأخري كتبت باليونانية[5]

أما بالنسبة للعملة التجارية فقد ظل التعامل بالعملة الفاطمية (الرباعي) أي ربع الدينار وهذه الأخيرة أثرت في ضرب العملة النورمانية المقابلة لها المسمى "طري" **TARi** "وكانت تشبه الرباعي في الشكل والقيمة[6].

---

[1]– أماري؛ مرجع سابق، ص 278.

[2]– ابن جبير؛ مصدر سابق، ص207.

[3]– عزيز أحمد؛ مرجع سابق، ص 78– 79.

[4]– نفس المرجع، ص 74–75.

[5]– احسان عباس؛ مرجع سابق، ص 144.

[6]- نفس المرجع، ص 143–144.

وبالنسبة للوضع الاقتصادي العام بالجزيرة فقد تحسن بمرور الوقت مع استقرار الوضع السياسي وانتهاج حكام المملكة الأواخر سياسة التسامح ما أدي الي انتعاش الأسواق بالمزروعات وتحكم الجزيرة في المبادلات التجارية في الحوض المتوسط، ويصف لنا ابن جبير ما عرفته الجزيرة من رخاء اقتصادي. ففي بلدة "مســينة" يذكر: "...**ولهم فيها تجارة كثيرة في جزيرة خصــبة مملوءة بالفواكه كثيرة الرفاهية وليس في هذه المدينة من المســلمين غير عدد يســير من أصــحاب المهن يباع فيها كل ما يحتاجه المســافر**"[1]، أما عن مدينة " إطرابنش" قال:" **وأبصــرنا محارث ومزارع لم نر مثل طيبها وكرما واتســاعا فشــبهناها بقرطبة... وبهذه المدينة جبل الكروم والمزارع... وأعلمنا بأن به نحو أربعة مائة عين متفجرة...**"[2]، وفي هذه الاسطر صورة واضحة عن ازدهار الزراعة والمنتوجات الزراعية بالجزيرة.

وعن الوضــع التجاري في مدينة "ثرمة" يصــف "**وهي من أعجب البلاد في الخصــب وســعة الأرزاق...بها أسواق عامرة وكثرة صادر ووارد**"[3].

ومن جهة أخرى تكتشف لنا رحلة ابن جبير في صقلية عن ظاهرة احتكار البحرية المسيحية للنقل التجاري، ونســتشــف هذا من خلال الرحلة نفســها، والتي قدمت في عهد الخليفة الموحدي "أبو يعقوب يوسف" أي الوقت الذي كان فيه الموحدون في أوج قوتهم والذين تمكنوا منذ عهد عبد المؤمن بن علي من توحيد معظم بلاد المغرب الإسـلامي تحت سلطتهم سنة 555هـ وأصـبح لهم أسطول بحري قيل عنه أنه أول أسطول في البحر المتوسط، إلى حد أن صلاح الدين الأيوبي استنجد به لإيقاف الصليبيين في طريق الشام[4].

وهنا نجد أنفســنا أمام مفارقة وهي أن حجاج الغرب الإســلامي كانوا يركبون مراكب مســيحية من أجل التوجه الي بلدان المشرق والحجاز، ونستنتج هنا بأن هذا الأسطول الموحدي هو أسطول حربي. وأن الأســطول التجاري الذي كان بإمكانه نقل الحجاج لم يكن له وجود، وكانت الدولة الموحدية تكتفي بدور الوســاطة في المبادلات الخارجية، وفي مقابل غياب البحرية المغربية التجارية قابلها تطور ونمو في

1- ابن جبير؛ الرحلة، ص 296. (أنظر: زكي محمد حسين، مرجع سابق، ص 85).

2- ابن جبير؛ الرحلة، ص 308-309.

3- نفس المصدر؛ ص 302-303.

4- صحر السيد عبد العزيز سالم؛ **حول نقل البحرية المسيحية لحجاج العرب الإسلامي (تأملات في رحلة ابن جبير)**، مقال منشور ضمن كتاب، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995، ص85.

البحرية المسيحية النورمانية، التي أسست احياء تجارية وتمكنت من احتكار المواصلات البحرية والإشراف على نقل الحجاج[1].

ومما سبق الإشارة إليه نستنتج أن الدور المتعلق بالنقل والمبادلات كان أحاديا، فموانئ سواحل الغرب الإسلامي هي التي كانت تستقبل السفن المسيحية وتخصص فنادق لإيوائهم وخزن سلعهم وإقامة شعائرهم دون أن يوجد ما يقابل هذا للمسلمين في الموانئ النورمانية، وهكذا ألقت رحلة ابن جبير الأضواء على النشاط الاقتصادي لاسيما التجاري في صقلية النورمانية[2].

المبحث الثالث: حياة الجالية المسلمة في الساحة الاجتماعية والسياسية

مر الرحالة ابن جبير كما سبق وذكرنا بصقلية في طريق عودته إلى بلاده بحرا بعد تأديته فريضة الحج، وكان ملكها آنذاك "وليام" (غليام الثاني)، وأمضى ابن جبير في الجزيرة قرابة أربعة شهور وترك لنا في رحلته انطباعات تلقي ضوءاً ساطعا على وضع المسلمين في الجزيرة بعد قرن من انتهاء السيادة الإسلامية عليها.

حيث نجد أن ابن جبير قد أورد في رحلته الأوضاع العامة للمسلمين في جزيرة صقلية في ظل الحكم النورماني وأعطى صورتين مختلفتين عن هذه الأوضاع وتتمثل في:

أ-حالة التعايش بين المسلمين والنصارى في جزيرة صقلية

وقد جاء هذا التعايش نتيجة إلى سياسة التسامح الديني التي انتهجها الحكام النورمانيين منذ أن استقر الحكم للملك "رجار الأول" كما سبق وذكرناه آنفا[3].

والواقع أن المسلمين الذين استسلموا بعد القتال مع النورمان، قد وقعوا اتفاقيات معهم تضمن حقوقهم الدينية والاقتصادية مثلما عاش مسلمو مدينة بلرم[4] حياة مرضية، لكن مع هذا لا يمكن تعميم هذه

---

[1]- صحر السيد عبد العزيز سالم؛ مرجع سابق، ص 86.

[2]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 314، 318.

[3]- أماري؛ مرجع سابق، ص 26.

[4]- بلرم؛ هي أعظم مدينة في جزيرة صقلية، وهي عاصمة الجزيرة تقع عل ساحل البحر المتوسط. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج 1، ص 483).

الحياة على البوادي والأرياف الذين استسلموا للنورمان دون مقاومة، إذ لم يوقعوا أي اتفاقيات تضمن حقوقهم وأوضاعهم فعاشوا كرق وعبيد على عكس سكان المدن الذين حضوا بحماية الملك والإقبال عليه والوفاء له من أجل ضمان حياتهم[1].

كما ان ابن جبير قد ذكر أوضاع المسلمين في عهد الملك "وليام الثاني" عند زيارته لها سنة 580هـ/ 1185م وأعطى صورة عن التعايش والتسامح بين فئتي المسلمين والنورمان في كنف هذا الملك إذ يقول: "**وشأن هذا الملك عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجابيب، وكلهم أو أكثرهم كاتم إيمانه متمسك بشريعة الإسلام...وله جملة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم، ووزراءه وحجابه الفتيان وله منهم جملة كبيرة من أهل دولته. ومن عجيب شأن المتحدث به أنه يقرأ ويكتب العربية...** "[2]، وفي هذه العبارة صورة واضحة بأن "وليام الثاني" كان كثير الثقة بالمسلمين واستعملهم في الكثير من الوظائف الإدارية والمالية وكانوا عيون دولته وأهل عمالته[3].

ومن صور التعايش أيضا تحدث ابن جبير عن اللطف الذي تلقوه وحسن المعاملة من قبل النصارى عند وصولهم هو وأصحابه المسلمون، بالإضافة إلى إغضائهم عن تظاهر المسلمين عند تأديتهم لبعض الشعائر الدينية في شهر رمضان وعيد الفطر، وإقامتهم للصلاة بآذان مسموعة، كما كان لهم أحياء سكنية انفردوا فيها بسكانهم عن النصارى، وعمرت الأسواق بهم وتاجروا بها وكان لهم مساجد لا تحصى[4].

أما عن مدينة "ثرمة"[5] فذكر أنه يوجد بها عدد كبير من المسلمين والمساجد، وكان في "قصر سعد" وهو على مسافة قريبة من مدينة "بلرم" يحتوي قبور كثيرة لصلحاء المسلمين من الزهاد، وكان هذا

1- نواف عبد العزيز الجحمة؛ مرجع سابق، ص 72.

2- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 298.

3- نفسه.

4- نفس المصدر؛ ص 308-310

5- ثرمة: مدينة من مدن صقلية تصفها المصادر بكثرة البراغيث وشدة الحر. (أنظر: الحموي؛ مصدر سابق، ج2، ص 77).

القصر مقصدا للمسلمين لما عرف عنه من البركة وكان به مسجدا يقول عنه ابن جبير بأنه من أحسن مساجد الدنيا[1].

ويتضح مما سبق بأن أحوال المسلمين في مدينتي "بلرم" و "ثرمة" أثناء فترة حكم "وليام الثاني" سادها الاستقرار والتعايش في ظل حماية الملك، وتجدر بنا الاشارة الي أن هذا كان في المدن أما حال البوادي والقرى فتدني وضعهم إلى أرقاء وعبيد وعمال أراضي.

ب-حالة الاضطهاد:

على الرغم من حالة التسامح التي عاشها المسلمون بصقلية عهد الملك "وليام الثاني" كما سبق وتحدثنا عنها، إلا أنه لا يمكن تعميم ما ذكر مع الواقع التاريخي الذي يأخذ اعتبار السياق والزمان والمكان، خاصة ما تعلق به الأمر بالقرى والبوادي التي وقعت في أيدي النورمان دون مقاومة ودون توقيع معاهدة تضمن لهم حياة الاستقرار والأمن، أين انتهى بهم الأمر من رجال أحرار إلى رقيق وعمال أراضي عند الإقطاعيين.

ويظهر هذا جليا فيما أورده ابن جبير عن أوضاع المسلمين في مدينة "مسينة" قائلا: "**ليس فيها من المسلمين إلا نفر يسير من ذوي المهن، ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب**"[2]، ويذكر أنه لولا حضور الملك "وليام الثاني" في عملية إنقاذ المركب الذي قدم فيه لنهب واستعبد جميع من فيه من المسلمين، لأن العادة جرت لهم بذلك[3].

ومن القضايا التي تشير الى الاضطهاد ومحنة المسلمين، والتي لفتت انتباه ابن جبير هو اختيار المسلمين لسياسة كتمان الإسلام كوسيلة من أجل البقاء والمحافظة على حياتهم ومناصب عملهم وبهذا الصدد يقول: "**...من عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة**

---

[1]- نواف عبد العزيز الجحمة؛ مرجع سابق، ص 174.

[2]- ابن جبير ؛ الرحلة، ص 297.

[3]- نفس المصدر ؛ ص 295.

فيخرجون أفذاذا من مجلسه فيقضون صلاتهم وربما يكونون بموضع تلحقه عين الملك فسترهم الله..."[1].

ويورد ابن جبير حالة مسلمي "بلرم" الذين منعوا من أداء صلاة الجمعة، ويصلون الأعياد بخطبة فرضت عليهم فيها الدعاء للخليفة العباسي "الناصر لدين الله" الذي كان في قمة ضعفه. دون ان يكون دعاء الخطبة فيه ذكر للخليفة الموحدي "أبي يوسف يعقوب المنصور" الذي كان أكثر قربا لهم، وإن دل هذا على أمر فإنه يدل على التربص والعداء الخفي بين الموحدين والصقليين خصوصا بعدما أصبحت مدن السواحل الإفريقية تحت راية الموحدين سنة الأخماس 555ه وانتزاعها من السيادة النورمانية، وهذا الجو السياسي المشحون بالعداء عاد سلبا على مسلمي الجزيرة إذ جردوا من أسلحتهم خاصة في العاصمة "بلرم" وهذا الوضع جعلهم فريسة سهلة في أيدي النورمان.

وبعد انتقال ابن جبير الي «اطرابنش" وإقامته بها فترة زمنية، قدم صور كثيرة تفيد في وصف الخوف من المصير القادم في الجزيرة إذ يقول: "**...وأهل النظر في العواقب منهم يخافون أن يتفق على جميعهم ما اتفق على أهل جزيرة "اقريطش" (كريت) من المسلمين في المدة السابقة، فإنه لم تزل الملكة الطاغية من النصارى والاستدراج الشيء بعد الشيء، حالا بعد حال حتى اضطروا إلى التنصر عن آخرهم ووفر منهم من قضى الله بنجاته..."[2].**

وقد نتج عن كل هذه الأوضاع سواء خارجية أو داخلية، الهجرة من دار الحرب إلى دار السلام وكان ميناء "اطرابنش" الواقع بغرب الجزيرة، الميناء الرئيسي لهجرة المسلمين إلى الأندلس وشمال إفريقيا وقد كان يضج بالمراكب التي تحمل المسلمين النازحين الي الساحل الافريقي للنجاة بحياتهم حسب رواية ابن جبير[3]. وفي هذا إيضاح أكثر عن أحوال المسلمين في "اطرابنش" وعن تلك الهجرات من مختلف شرائح المجتمع.

وقد أشار الي نقطة اخري هامة في سياسة الحفاظ على الذات من الاضطهاد والتعسف، أن فقيه اسمه "ابن أبي زرعة" الذي اضطر من الضغط إلى مفارقة دين الإسلام والانغماس في النصرانية وحفظ

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 300.

[2]- نفس المصدر؛ ص 315

[3]- نفس المصدر؛ ص 308.

كتاب الإنجيل والتحول إلى قسيس يشرح أمور الدين، لكن ومع كل ذلك فقد كان يكتم إسلامه ويظهر هذا جليا في قوله: " **ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**"[1]، وفي هذه الحادثة ما يترجم ويفسر أسباب إصرار هجرة العلماء من الجزيرة، فهم يفضلون الانتقال من موطنهم على أن يتنصروا أو يرتدو عن دينهم.

كما تحدث ابن جبير عن اجتماعه بزعيم مسلمي صقلية "أبي القاسم بن محمود" الذي قدم إلى "اطرابنش" أثناء تواجد ابن جبير بها، و أشار الي وضعه وقال أنه بعدما افتروا عليه أعداءه الحاقدين ونسبوا إليه أحاديث عن علاقته في مخاطبة الموحدين، صادر على أثرها الملك النورماني ممتلكاته حتى بقي من غير مال على حد قول ابن جبير[2]، وبعد لقائهما اشتكى "أبو القاسم" حاله لابن جبير إذ يذكر هذا الأخير على لسان أبي القاسم فيقول: "**كنت أود لو أباع أنا وأهل بيتي، فلعل البيع يخلصنا مما نحن فيه وتؤدي بنا إلى الحصول في بلاد المسلمين**" [3].

ولم يقتصر أمر الاضطهاد عند التصدي للفقهاء وفقط، بل تعدى لحد التعرض للأسر المسلمة المحافظة للتفسخ والانحلال من جراء المغريات نحو التنصير، وفي هذا الصدد يشير ابن جبير إلى أن ملكة "اقريطش" النصرانية لم تزل تستدرج المسلمين شيئا فشيء حتى اضطروا إلى التنصر عن آخرهم وفر منهم من قضى الله بنجاته[4].

ومن ذلك إرتئ المسلمون في صقلية أن الحل الوحيد لمشاكلهم هو الهجرة إلى بلاد المسلمين كما كانوا يعملون على تزويج بناتهم من الزائرين والحجاج المسلمين تجنبا للفتنة[5].

ومن خلال ما سبق نصل إلى نتيجة هي أن المسلمون في الجزيرة معرضون للاضطهاد، الأمر الذي جعلهم يجدون أنفسهم أمام أمرين أولهما الهجرة التي لم يكن القيام بها أمرا هينا أمام السلطات النورمانية والأمر الثاني هو اعتناق المسيحية والخروج عن الدين الإسلامي.

---

[1]- ابن جبير؛ الرحلة، ص 313.

[2]- نواف عبد العزيز الحجمة؛ مرجع سابق، ص 279.

[3]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 314.

[4]- إحسان عباس؛ مرجع سابق، ص 149.

[5]- ابن جبير؛ مصدر سابق، ص 315.



خاتمة

خاتمة

ومن خلال ما سبق ذكره والتطرق إليه يمكن القول ان دراسة أوضاع بلاد الشام وجزيرة صقلية من خلال رحلة ابن جبير الأندلسي أوضحت العديد من النتائج نلخصها في النقاط التالية:

1/ أظهرت لنا شخصية رحالتنا ومزاجه ونفسيته من خلال ما كتبه عن الشام وصقلية، فظهرت لنا شخصيته الانتقادية عند ذكره لبعض عادات المجتمع الشامي في مدينة دمشق وصور، وعند ظاهرة الاختلاط في صقلية، كما ظهرت لنا شخصيته الاعتدالية الموضوعية عندما تناول عناصر المغاربة في الشام.

2/ اعتماد ابن جبير عند وصف رحلته على المشاهدة والملاحظة المباشرة دون الاعتماد علي كتب المصادر الأخرى.

3/ كانت اشارت ابن جبير الي الحياة السياسية قليلة جدا على الرغم من أن الفترة الزمنية التي وجد فيها ابن جبير في الشام وحتى صقلية حافلة بأحداث سياسة، سواء خارجية من مواجهة وصد حكام الدولة النورية والصلاحية للهجمات المتوالية من الصليبين على سواحل الشام وتحرير العديد من المعاقل التي كانت تحت الحكم الصليبي، وأيضا مواجهة حكام الدولة الموحدية في الغرب الإسلامي للاجتياح النورماني على سواحل شمال إفريقيا، أو على نطاق داخلي من خلافات وصراعات بين الأمراء والحكام المحليين على السلطة في الشام، ويرجع ذلك ربما الى قصر فترة مكوث ابن جبير، وثانيا لأن الرحالة في المقام الأول كحاج يلفت نظره مدى اهتمام السلاطين بالحجاج الغرباء والخدمات المقدمة لهم.

4/ أشار ابن جبير الى الحياة الاجتماعية فوصف المجتمع الإسلامي والنصراني وعاداتهم في الجنائز واحتفالاتهم في الأعراس والأعياد وإحياء شهر رمضان وأيضا استقبال الحجاج والتبرك بهم، وكان أبرع ما في رحلته وأروعه حديثه عن دمشق بذكر نظام الأوقاف فيها، وفضائل أهلها من كرم الضيافة لديهم وخاصة في شهر رمضان

المبارك، وتعميرهم للمساجد والمدارس، والإحسان للغريب مع تقديم العون والمساعدة لهم، كما أشاد ابن جبير بمدارسها ومساجدها، وما كان عليه الجامع الأموي من عمارته برجال العلم والعلماء، وطلبة العلم والقراء، وهذه الصورة الجميلة عكست لنا أهم مظاهر الحياة في المجتمع الشامي، فهي صورة متكررة لأغلب مدن الشام وقراها.

5/ أمدتنا الرحلة بمعلومات عن الأحوال الاقتصادية وبأنها في حال مزدهر كما أشاد بالصناعات التي تنتجها المدن، وازدهار علاقات التجارة بين المسلمين والنصارى رغم اشتعال الحرب بن الطرفين، كما اشتكي الرحالة من ظاهرة الاحتكار التجاري ووضح دور السلطات في تدعيم هذا الاحتكار، وأمدنا بمعلومات عن أهم مراكز تسويق وتخزين السلع في الشام.

6/ أشارت الرحلة الي مدي ازدهار الحياة العلمية في إقليم الشام، واهتمام السلاطين بإنشاء المدارس الكثيرة ليس في المدن فقط وحتى في البوادي، وكذلك مساهمة الأمراء في تلك النهضة العلمية، كما وضح لنا دور المغاربة في تعليم وتفسير القرآن والحديث، وكثرة حلقات العلم والعلماء، أما فيما يخص صقلية فقد أشار الي تراجع العلوم الدينية في مقابل ازدهار العلوم العلمية، كما أوضح تراجع وتضاءل دور الساجد في مقابل قصور الملوك والحكام.

7/ أوضحت لنا الرحلة مدى اهتمام سلاطين الشام وصقلية بالعمارة ـ خاصة الحربية منها ـ نظرا للوضع السياسي القائم، أيضا إقامة العديد من المارستانات بسبب اشتعال الحروب.

8/ أعطت لنا صورة حية عن أحوال المسلمين تحت الحكم النصراني وعن حالة التعايش والتسامح الديني وأقر أن أحوالهم أحسن من أحوال المسلمين تحت السيادة الإسلامية.

وفي ختامنا لهذه الدراسة نرجو ان يكون هذا العمل قد القى الضوء ولو على جزء بسيط من أحوال بلاد الشام وصقلية زمن الحروب الصليبية على الرغم من أن الفصل

الخاص بصقلية جاء نوعا ما مختصرا وهذا راجع لقلة المادة العلمية سواء في كتب التاريخ العام أو في نص الرحلة بحد ذاتها خاصة إذا ما قورن بالجزء الخاص ببلاد الشام ولربما هذا راجع لقصر مدة مكوثه في المنطقة أو لأن المنطقة في حد ذاتها لم تكن مقصده وإنما اضطر للمرور عليها فكان تسجيله لمعلوماتها بشكل عابر وسطحي.

وما هذا إلا جهدنا وحصيلة دراستنا

وما فيها من صواب فهو من فضل الله وكرمه

وما كان فيها من زلل وتقصير فهو من هفوات النفس

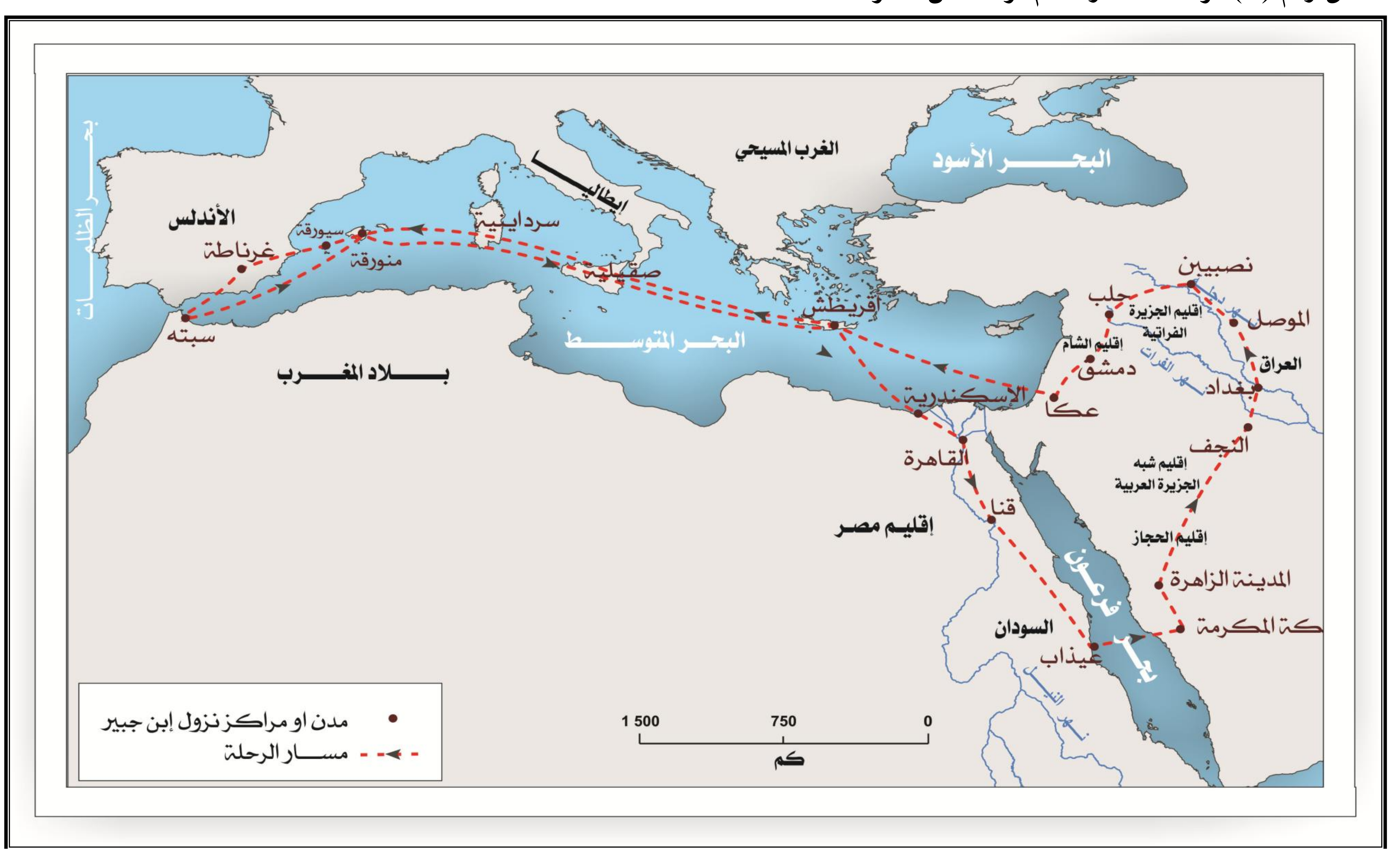
والكمال لله وحسبنا أننا توخينا الدقة والصواب

وبذلنا جهدنا وطاقتنا في ذلك ونستغفر الله العظيم المعين الحق الرحيم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين


الملاحق

ملحق رقم (1)خريطة المسار العام لرحلة ابن جبير 578-581 هـ



المصدر:من إعداد الطالبتين، مستخلصة من خلال رحلة ابن جبير. بالاعتماد على نظام map info

قائـــــــــمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. ابن الأثير محمد بن عبد الكريم؛ **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2003، ج9.
2. ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم؛ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار**، تحق: درويش الجودي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2004.
3. ابن تغري البردي جمال الدين ابن المحاسن يوسف؛ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1962، ج6.
4. ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد؛ **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
5. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت؛ **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1988.
6. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت؛ **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1988.
7. ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين؛ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1974، ج2

8. ابن خلدون عبد الرحمان؛ **المقدمة**، تحق: جمعة شيخة، دار العلم، تونس، ط1، 1984.

9. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن بكر؛ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1968، ج7.

10. ابن أبي زرع الفاسي؛ **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور لطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، د. ط، 1972.

11. ابن شداد بهاء الدين؛ **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1994.

12. العبدري محمد البلنسي؛ **الرحلة المغربية**، تحق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007.

13. المراكشي ابن عبد الملك؛ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

14. ابن عذاري المراكشي؛ **البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب (قسم الموحدين)**، تحق: محمد إبراهيم الكناني، محمد زنيبر، محمد بن تاوين، عبد القادر زامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

15. القاضي أحمد المكناسي؛ **جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، دط،1973، ج1.

16. القلانسي حمزة بن أسد بن علي؛ **ذيل تاريخ دمشق**، تحق سهيل زكار، دار إحسان، دمشق، سوريا، ط 1، د ت.

17. القلقشندي أحمد بن العباس؛ **صبح الاعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الاميرية، القاهرة، مصر، دط، 1914، ج4.

18. المراكشي عبد الواحد؛ **المغرب في تلخيص أخبار المغرب**، تحق: محمد سعيد العريان، نشر المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث، (د. م. ن، د ط، د. ت).

19. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1904.

20. المقري أحمد بن محمد التلمساني؛ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1988، مج1.

21. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم؛ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مج1.

22. النباهي أبو الحسن؛ **تاريخ قضاء الأندلس (كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتية)**، تحق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1983.

قائمة المراجع

أ-الكتب العربية:

- ✓ إحسان عباس؛ **العرب في صقلية دراسة في التاريخ والآداب**، دار الثقافة، د.م.ن، ط1، 1971م.
- ✓ أحمد رمضان أحمد؛ **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان المغربي لطباعة والنشر، (د. م. ن، د ط، د ت).
- ✓ أرسلان شكيب؛ **الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف**، دار السويدي لنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 2004.
- ✓ أرسلان شكيب؛ **الحلل السندسية في الأخبار والأثار الاندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج3.
- ✓ أرنست بكر؛ **الحروب الصليبية**، جمع: السيد الباز العربي، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.
- ✓ أماري ميخائيل؛ **المكتبة الصقلية العربية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1858م.

✓ الايبش قتيبة؛ **دمشق والشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 1998.

✓ بن قنية عمر؛ **الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية**، منشورات اتحاد الكتب، دمق، سوريا، د ط، 1999.

✓ حسن محمود حسن؛ **أدب الرحلات عند العرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

✓ الحويري محمود محمد؛ **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عصر الحروب الصليبية**، دار المعرفة، القاهرة، مصر، د.ط، 1989.

✓ الدفاع علي بن عبد الله؛ **رواد علم الجغرافيا في الحضارة الإسلامية**، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط2، 1993.

✓ الرقيب شفيق، **الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس هجري**، دار صفاء، عمان، الأردن، د.ط، 1973.

✓ الزركلي خير الدين؛ **الأعلام (قاموس تراجم لأثير الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ج2.

✓ زكي محمد حسين؛ **الرحالة في العصور الوسطى**، دار رائد العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1981.

✓ زيادة محمود مصطفى؛ **رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة**، مطبعة الحسبة والتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1939م.

✓ ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر؛ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 1، 1997.

✓ شوابكة نوال عبد الرحمان؛ **أدب الرحلات المغربية والأندلسية حتى نهاية القرن التاسع هجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع، د.م.ن، ط1، 2008.

✓ صلاح الدين الشامي؛ **الرحلة عين الجغرافيا**؛ الناشر منشأ المصارف الإسكندرية، مصر، د ط، د ت.

✓ طقوش محمد سهيل؛ **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

✓ الطيبي أمين توفيق؛ **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس**، دار الغرب للكتاب، تونس، د.ط، 1984م.

✓ عاشور سعيد عبد الفتاح؛ **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.

- ✓ عزيز أحمد؛ **تاريخ صقلية الإسلامية**، تع: أمين التوفيق الطيبي، دار العربية للكتاب، د.م.ن، د.ط، 1980.
- ✓ علي محمد وفاء؛ **الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1991.
- ✓ عمران محمود سعيد؛ **تاريخ الحروب الصليبية 1090_ 1291م**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2000م.
- ✓ العميد هاني صبحي؛ **كتب البرامج والفهارس الأندلسية دراسة وتحليل**، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ط1، 1993.
- ✓ عنان محمد عبد الله؛ **دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م.ن، د.ط، د.ت، ج5.
- ✓ عوض محمد مؤنس؛ **الحروب الصليبية دراسة تاريخية ونقدية**، تق: سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، دار الشروق، د.م.ن، د.ط، د.ت.
- ✓ عوض محمد مؤنس؛ **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية**، عين الدراسات والبحوث، د.م.ن، ط1، 1995.
- ✓ الفقي عصام عبد الرؤوف؛ **بلاد الجزيرة أواخر العصر العباسي**، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.

✓ قنديل فؤاد؛ **أدب الرحلات في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002.

✓ كروم عبد الله؛ **الرحلات بإقليم توات (دراسة تاريخية وأدبية لرحلات المخطوطة لخزائن توات)**، دار دحلب لنشر، (د. م. ن، د ط، د ت).

✓ مدني أحمد توفيق؛ **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، مكتبة الاستقامة**، تونس، د.ط، د.ت.

✓ المنجد صلاح الدين؛ **المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في القرون الوسطى**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1963.

✓ نواب عواطف محمد يوسف؛ **الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين (دراسة تحليلية مقارنة)**، مطبوعات الملك فهد الوطنية الرياض، السعودية، د ط، 1996

ب_ الكتب المعربة:

✓ آشور؛ **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط حتى العصور الوسطى**، تر: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة للنشر والتوزيع، د.م.ن، د.ط، 1985م.

✓ جنثالث بلانثيا آنخيل؛ **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1928م.

✓ رانسيمان ستيفن؛ **تاريخ الحملات الصليبية كليرمونت إلى أورشليم**، تر: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م.ن، ط2، 1993م.

✓ زابوف ميخائيل؛ **الصليبيون في الشرق**، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، روسيا، د.ط، 1986م.

✓ كراتشوفسكي إغناطيوس يوليانوفيتش؛ **تاريخ الأدب العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هشام، دار الثقافة في جامعة الدول العربية، د.م.ن، د.ط، 1997م، ج1.

المجلات والمقالات:

✓ أسود شاكر فلاح؛ **ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية**، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، مج: 18، العدد 4.

✓ حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، سلسلة كتب ثقافية شهرية، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، د.ت.

✓ الجحمة نواف عبد العزيز؛ **أوضاع المسلمين في صقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير، مقال منشور ضمن كتاب الغرب بعيون عربية**، وزارة الإعلام، مجلة العربي، 2005.

✓ خالد يوسف صالح، **حلب والموصل في العهد الايوبي من خلال رحلة ابن جبير (دراسة مقارنة في الجانب العمراني**، مجلة أبحاث الكلية السياسية، د.م.ن، مج8، الـ عدد4، 2008.

- ✓ خليفي عبد القادر ؛ **الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية**، مجلة المواقف والبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، العدد 4، 2009م.
- ✓ السيد عبد العزيز سالم سحر ؛ **حول نقل البحرية المسيحية لحجاج الغرب الإسلامي (تأملات في رحلة ابن جبير)**، مقال منشور ضمن كتاب الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 1995.
- ✓ العبادي أحمد مختار؛ **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**، مقال منشور ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة الشهاب، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2010.
- ✓ الفاسي محمد؛ **الرحالة المغاربة وآثارهم**، مجلة دعوة الحق، جمعية الطالب المغربي، الـ عدد2_ 3، المغرب، 1958م.
- ✓ محمد نايف العماير وشفيق الرقيب؛ **النزعة الانتقادية في رحلة ابن جبير**، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، مج 37، ال عدد53، 2010.

✓ ملاعب نهى؛ **نحو ومقاربة لمسألة اندماج المغاربة في المجتمع الدمشقي في العصور الوسطى**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، قسم التاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، ال عدد5، 2011.

الرسائل الجامعية

✓ أمطير محمد سامي أحمد، **الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية 492_ 583هـ/ 1099_ 1187م**، مذكرة مقدمة استكمالا لنيل لمتطلبات درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، إشراف: جمال محمد جودة، 2010م.

✓ سالم إبراهيم آلاء؛ **صورة المدينة في الشعر الشامي في القرنين السادس والسابع هجريين**، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم الآداب، جامعة مؤتى، 2011م.

✓ كامل مزهر الياسري بتول، **الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع هجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الجغرافيا، جامعة سانت كليمونس، إشراف: نزار كريم جواد، د.ت.

- ✓ محمد يوسف عمر عابد؛ **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة 726_ 750هـ/ 1326_ 1349م**، رسلة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: جابر محمد دياب، 1989م.
- ✓ الهروط بلال سالم؛ **صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية**، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتى، إشراف: فايز القس، 2008م.

القواميس والمعاجم والموسوعات:

- ✓ البستاني بطرس؛ **دائرة المعارف، مطبعة المعارف**، بيروت لبنان، د.ط، 1984، مج8.
- ✓ الحفني عبد المنعم؛ **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب**، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، ط1، 1993.
- ✓ عاصم محمد رزق؛ **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة ما دبولي، د.م.ن، ط1، 2000.
- ✓ العفيفي عبد المنعم؛ **موسوعة مائة مدينة إسلامية**، أوراق شرقية لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

- ✓ الفيروز بادي مجد الدين محمد بن يعقوب؛ **قاموس المحيط**، تحق: أمين محمد الشامي وزكريا أحمد جابر، دار الحديث لنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2008، مج1.
- ✓ وجدي محمد فريد؛ **دائرة معارف القرن العشرين**، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مج2.
- ✓ مؤلف مجهول؛ **معجم الوسيط**، إشراف شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، د ت.



الفهارس

قائمة الفهارس

أولا: فهرس الأشعار

- يحسب الناس بأني متعب وفي الشفاعات كليف الورى

والذي يتبعهم من ذلك لي راحة في غيرها لن أفكرا

ولودي لو اقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى ص 33

- أطللت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر ص 41

- بسبتة لي سكن في الثرى وحل كريم إليه أتى

فلو استطعت ركب الهوى فررت بها الحي والميا ص 42

ثانيا: فهرس الأعلام

1-الإدريسي، ص، 22، 69.

2_ ابن الأثير، ص ،53، 88.

3_ابن بطوطة، ص،23، 24.

4_البلوي، ص،24.

5_هنري السادس، ص،85.

6_وليام الثاني، ص85،83، 88، 90.

7_ وليام الأول، ص 85.

8_حسين محمد حسن،30.

9_الحسن، ص44.

10_الحسين، ص 44.

11_اليعقوبي، ص22.

12_يوسف بن عبد المؤمن، ص36.

13_كراتشوفسكي، ص42.

14_المقدسي، ص28.

15_المقري، ص33.

16_المنذري، ص34.

17_المهدي بن تومرت، ص34.

18_ابن مردنيش، ص36.

20_نور الدين زنكي، ص39، 55.

21_ابن سعيد، ص40، 68.

22_أبي عمران سعيد، ص36.

23_عمر ابن الخطاب، ص46.

24_العبدري، ص24، 25.

25_عبد القدوس الأنصاري، ص240.

26_ابن عبد الملك المراكشي، ص35.

27_عماد الدين الزنكي، ص54.

28_عبد الله بن عمر، ص75.

29_صلاح الدين الأيوبي، ص39، 41، 47، 55، 59، 69.

30_ ابن رشد، ص23.

31_شكيب أرسلان، ص36.

32_التجيبي، 22، 24.

33_خالد ابن الوليد، ص75.

34_ابن خلدون، ص23.

ثالثا: فهارس الأماكن:

1_ الأندلس، ص26، 38، 37، 47، 48، 67، 68،79، 83.

2_الإسكندرية، ص23، 32، 42، 45، 46، 48، 50.

3_ايطاليا، ص62.

4_أفريقية، ص82، 84.

5_اشبيلية، ص36.

6_بغداد، ص23، 37، 49.

7_بلنسية، ص31، 32.

8_بلاد فارس، ص37.

9_بيت المقدس، ص41، 52، 53، 56، 57.

10_بجاية، ص47، 80.

11_دمشق، ص23، 36، 34، 47، 52، 53، 57، 58، 59، 60، 65، 72، 73، 79.

12_حلب، ص,39، 52، 59، 73.

13_حماة، ص73.

14_الحجاز، ص29، 39، 42، 46، 48.

15_طريف، ص45، 46.

16_طبرية، ص56.

17_طنجة، ص23.

18_طرابلس، ص52، 54، 55.

19_اليمن، ص46.

20_يافا، ص67.

21_كردستان، ص46.

22_الكوفة، ص46.

23_البحر الأحمر، ص24، 46.

24_المغرب، ص26، 27، 32، 46، 79، 83، 84.

25_المشرق، ص27.

26_مكة المكرمة، ص44، 49، 50، 58.

27_مصر، ص44، 46، 54، 61.

28_المهدية، ص89.

29_سيناء، ص16.

30_سبتة، ص32، 41، 45.

31_عكا، ص47، 56، 65، 67، 70.

31_العراق، ص37، 42، 64، 50.

32–فاس، ص32، 41.

33_صور، ص47، 71.

34_القاهرة، ص23، 46، 50.

35_القسطنطينية، 44، 47، 70.

36_قوس، ص46.

37_شاطبة، ص31، 32.

38_تونس، ص47.

فهرس القبائل والفرق و المذاهب

1_اللإغريقن ص21.

2_الإسبانن ص36.

3_الأتراك، ص37.

4_الدولةالأيوبية، ص38.

5_البرتغال، ص36.

6_البويهيون، ص37.

7_بنو هلال، ص82.

8_زناتة، ص36.

9_بني زيري، ص82.

10_ الموحدين، ص36، 37، 45، 93.

11_مصمودة، ص36.

12_المرابطين، ص36، 79.

13_الدولة العباسية، ص37.

14_غرناطة، ص32، 34، 40، 41، 42، 45.

15_النورمان، ص48، 72، 76، 88، 90.

16_الدول النورية، ص52.

17_السلاجقة، ص37، 38.

18_العرب، ص22، 31، 85.

19_الدولةالعباسية، ص37.

20_الفراعنة، ص21.

21_الفينقيين، ص20.

22_الفرجة، ص52، 53، 60، 69.

23_الفاطميون، ص53، 77.

24_الرومان، ص21.

25_الإسماعيلية، ص63،62، 64.

26_النزارية، ص62، 63.

27 _ الصوفية، ص62.

فهرس الموضوعات

مقدمة...أ–ح

مدخل: الرحلة في الغرب الإسلامي وفوائدها في الدراسات التاريخية.................17–29

أولا: مفهوم الرحلة..18

ثانيا: نشأة أدب الرحلة وعلاقته بالجغرافية..20

ثالثا: دوافع الرحلة المغربية وأنواعها..23

رابعا: خصائص الرحلات المغربية والاندلسية..25

خامسا: أهمية الرحلة في الدراسات التاريخية..28

الفصل الأول: ابن جبير حياته عصره ورحلته.................................... 30–51

المبحث الأول: ابن جبير...30

أ_ ترجمته...31

ب _ صفاته...32

ج _ مكانته الاجتماعية..34

د _ مؤلفاته... 34

المبحث الثاني: عصر ابن جبير..36

المبحث الثالث: رحلة ابن جبير ومميزاتها..40

أولا: خصائص ومميزات رحلة ابن جبير...43

ثانيا: تاريخ الرحلة ومسارها..45

ثالثا: المعلومات الواردة في الرحلة..48

الفصل الثاني: الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام من خلال رحلة ابن جبير.. 51–81

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في بلاد الشام اثناء رحلة ابن جبير..............................52

المبحث الثاني: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية...57

أ: الجوانب الاقتصادية...57

ب: الجوانبالاجتماعية...62

المبحث الثالث: الجوانب العمرانية والثقافية...79

المبحث الرابع: المغاربة في بلاد الشام...77

الفصل الثالث: الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية في صقلية من خلال رحلة ابن جبير.. 81-95

المبحث الأول: أوضاع صقلية السياسة اثناء رحلة ابن جبير..............................82

المبحث الثاني: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية...85

أ: الجوانب الاجتماعية...85

ب: الجوانب الاقتصادية..87

المبحث الثالث: حياة الجالية المسلمة في الساحة الاجتماعية والسياسة.......................90

أ: حالة التعايش بين المسلمين والنصارى في جزيرة صقلية.......................................90

ب: حالة الاضطهاد..92

خاتمة..96-99

الملاحق...100-108

قائمة المصادر...109-122

الفهارس..123-134

1_ فهرس الأشعار..124

2_ فهرس الأعلام..125

3_ فهرس الأماكن..127

4_ فهرس القبائل والفرق والمذاهب..129

5_ فهرس الموضوعات...133